شعر الأطفال فى مناهج الحلقة الأولى من التعليم الأساسى بمصر ٢٠١٣م / ٢٠١٤م (دراسة وصفية نقدية)

أ. د. مصطفى محمد أبوطاحون

المقدمة

ينظر إلى التربية بوصفها إحدى مقاصد الرسالات السماوية، وبوصفها مهمة النبوة الأولى؛ قال تعالى : ''هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين'' (الجمعة آية ٢)

وعليه فقد ارتبطت التربية "يزكيهم" فى تراثنا العربى والإسلامى بالتعليم "يتلو عليهم آياته...، يعلمهم" الأمر الذى ظل قابلاً لمزيد من التعمق، ومن ثم تعزَّز فى الوعى الجمعى اقتران التربية بالتعليم دائمًا، فبدا التعليم وسيلة تتغيَّا التربية مقصدًا لها، وربما انطوت فلسفة تقدم التربية على التعليم فى مسميات المؤسسات المعنية، وكذا فى ذاكرة رجالات التعليم على شىء من هذا الفهم العميق لعلاقة التعليم بالتربية.

وقد تعددت وسائل التربية، فكانت الكلمة واللمسة والبسمة وكانت الإثابة والعقوبة، وشاركت كذلك مختلف وسائل الإعلام والاتصال الحديثة فى تلك المهمة السامية، ويمكن بشىء من التبسيط غير المخل اختزال كافة وسائل التربية فى الكلمة والسلوك، ويقصد بالكلمة هنا : الكلمة الطيبة الصادقة أيًا كان وسيطها الناقل؛ شفاهية كانت أو كتابية أو أدائية ممثلة أو ممسرحة، أما السلوك فيعنى المربى أولاً؛ إذ سلوك رجل فى ألف رجل خيرٌ من كلام ألف رجل فى رجل، فالقدوة أعمق تأثيرًا من مقامات الوعظ المباشر والتوجيه التربوى السافر المُرّ؛ كما يعنى "السلوك" المتربى كذلك؛ إذ تعديل السلوك وتقويمه هو غاية غايات التربية التى لا تقصد إلى أكثر من بناء المواطن الصالح.

وتقوم كافة المؤسسات التعليمية فى فلسفة بنائها وتنظيمها وتشغيلها على مرتكزات رئيسية منها العلم والمنهج، وينبغى أن تبنى المناهج على أسس علمية تُعْنى بإشباع حاجات المستهدف بالمنهج، فى نواحيها المختلفة، نفسيًا وجسميًا واجتماعيًا وثقافيًا وعلميًا.

وتسعى هذه الدراسة إلى استجلاء الدور التكوينى التربوى لنوع أدبى إبداعى خاص هو شعر الأطفال فى المناهج الدراسية المقدمة لأطفال مصر فى الحلقة الأولى من التعليم الأساسى لعام ٢٠١٣ / ٢٠١٤ دراسة وصفية نقدية، تقصد إلى الكشف عن مدى مناسبة الشعر المقدم لطفل المرحلة من الوجهة؛ وتوافقه مع مقاصد التربية.

وقد جاءت الدراسة فى مقدمة وفصلين وخاتمة :

أما الفصل الأول فعن أدب الأطفال والتربية.

والفصل الثانى : عن شعر الأطفال فى مناهج الحلقة الأولى من التعليم الأساسى بمصر دراسة

وصفية نقدية وفيه مبحثان :

المبحث الأول : دراسة وصفيه نقدية.

المبحث الثانى : دراسة تقويمية استشرافية.

الفصل الأول : أدب الأطفال والتربية

اختلفت آراء النقاد قديمًا وحديثاً بشأن الغاية من الفنون عامة، والأدب خاصة، فمنهم من جعل الفن غاية فى ذاته، فالفن للفن، ومنهم من رأى أن يكون للفن غايةٌ ومقصد؛ حتى لا يكون لغوًا؛ ولأن حضارتنا تعنى بالكلمة؛ وتقدرها؛ وتحاسب عليها؛ إذ الإيمان كلمة والكفر كلمة، فإنى أرى أن يكون للأدب وللفن غاية نبيلة ومقصد شريف.. والأمر يقتضى أن يستصحب الفن والأدب دائمًا وفى كل حال إلى جانب الجمالية قدرًا من تهذيب سلوك أو شحذ همة أو تكوين رأى؛ ويدعم هذا الرأى الأخير واقع الإبداع؛ فما أغراض الشعر القديم والحديث؛ مدحه؛ وهجاؤه وفخره وغزله إلا دليلاً على أن للأدب والفنون مقاصد تتأسس على المنطلقات الفكرية والعقدية والأخلاقية للمبدع. والحق أن (دعوة بعض مناهج النقد إلى تجريد الأدب من الغاية وابتعاد النقد الذى يدرسه عن "الذرائعية" دعوة غير سديدة، وهى لا تتفق على أقل تقدير مع التصور الإسلامى للأدب) (١)

وفى تحرير الكتاب والأكاديميين لمصطلح أدب الأطفال يبدو واضحًا حضور الغاية التكوينية التربوية كملمح رئيس فى هذا النوع الأدبى الذى يتغيَّا مبدعوه منه وظائف تربوية وأخلاقية وجمالية، فـ "أدب الأطفال هو أداة لبناء شخصية الطفل؛ وإعداده للمستقبل؛ لذا يتحدد مضمونه فى كل ما يبنى عقل ونفس وجسم الطفل" (٢) وممن أشاروا إلى تلك الغاية التربوية الدكتور أحمد زلط؛ إذ يعرف أدب الأطفال بقوله : "أدب الطفولة نوع أدبى متجدد فى أدب أى لغة؛ وفى أدب لغتنا هو ذلك النوع الأدبى المستحدث من جنس أدب الكبار (شعره؛ ونثره؛ وإرثه الشفاهى؛ والكتابى" فهو " نوع أخص من جنس أعم يتوجه لمرحلة الطفولة؛ بحيث يراعى المبدع المستويات اللغوية والإدراكية عندما يقوم بالتأليف أو المعالجة للطفل؛ بهدف التعلق بالأدب وفنونه لتحقيق الوظائف التربوية، والأخلاقية، والفنية، والجمالية" (٣)

ومن كتاب أدب الأطفال من جعل أدب الأطفال بالأساس عملاً تربويًا؛ مقدمًا للوظيفة على التوصيف الفنى، تقديرًا لغايات الفنون على طبيعتها يقول الدكتور نجيب الكيلانى فى تعريفه لأدب الأطفال، إنه :

"عمل تربوى يتطلب تفهمًا كاملاً لنفسية الطفل وظروفه وإمكاناته المختلفة، بهدف تسليته وتعليمه، وتكوين شخصيته السوية القادرة على ممارسة دورها البناء فى إثراء الحياة والنهوض بها وإسعاد الفرد والمجتمع" (٤).

ولحضور التربية واقعًا وممارسة فى أدب الأطفال اختزل بعض الرواد من الأكاديميين المعنيين أدب الأطفال فى كونه وسيطًا تربويًا، أو كونه وسيطًا تربويًا يمثل أحد الأعتبارات الهامة التى ينبغى النظر إليه من خلالها؛ وفى ذلك يقول الدكتور حسن شحاته :

"وأدب الأطفال باعتباره وسيطًا تربويًا يتيح الفرص أمام الأطفال لمعرفة الإجابات عن أسئلتهم

واستفساراتهم ومحاولات الاستكشاف، واستخدام الخيال وتقبل الخبرات الجديدة" (٥)

أما الأستاذ محمد حسن بريغش فيري فى كتابه : أدب الأطفال تربية ومسئولية، أن :

"الأدب الإسلامى وسيلة مهمة لتربية الطفل المسلم، وبناء شخصيته، واستنبات نوازع الخير وأفكار الصلاح لديه، ولهذا كان لابد له من الإسهام فى إعداد الطفل المسلم وتربيته على أسس قويمة وفق منهج سليم مستفيدًا من الخصائص الأساسية للأدب، ومراعيًا العناصر الضرورية للتربية" (٦)

"والهدف التربوى فى مجال الطفولة خاصة يعنى أمرين مهمين : البناء والحماية : البناء للنفس الصغيرة؛ ليصبح الطفل بفضل هذه التربية عبدًا لله عز وجل، والحماية لهذه الفطرة البريئة من الانحراف والعبث والأخطار التى تحيط بها من مغريات ومفاسد وانحرافات وأهواء وضلالات فكرية وسلوكية" (٧)

ومن قديم أدرك العربى دور الشعر فى التأديب والتربية، وتعزيز القيم الإيجابية، والحث على مكارم الأخلاق ليتأسى بها المتلقون للإبداع، فيروى أن الفاروق عمر رضى الله عنه كتب إلى أبى موسى الأشعرى : "مُرْ مَنْ قبلك بتعلم الشعر، فإنه يدل على معالى الأخلاق؛ وصواب الرأى؛ ومعرفة الأنساب" (٨)

وقد سجل الشعراء للشعر قديمًا فضله فى تمجيد الفضائل، والدعوة إلى مكارم الأخلاق على نحو ما قال أبو تمام :

تداركـه إن المكرمـات صنائـع وإن حلى الأشعار فيهـا خواتـم

ولولا خلال سنها الشعرما درى بغاة الندى من أين تؤتى المكارم

ويقول ابن الرومى :

أرى الشعر يحيى المجد والبأس بالذى تبقيه أرواح له عطرات

وما المجد لولا الشعر إلا معاهدٌ وما النـاس إلا أعظـم نخـرات

ولئن صح ذلك فى الشعر عامة فهو أكد فى شعر الأطفال، إذ لا يقبل أن تنحصر غاية الشعر فى الإمتاع والتسلية، خاصة حينما يكون حديثًا عن الشعر فى مناهج التعليم الرسمية، ولذا يجب أن يكون لشعر الأطفال دور فى تربية الطفل وبناء شخصيته إذ "تتضح أهمية أدب الأطفال من تأثيره فى تربية الطفل وتكوين شخصيته وتكوين اتجاهاته وتنمية ذوقه الفنى والأدبى" (٩)

ويرى الدكتور على الحديدى أن أدب الأطفال من أقوى دعامات التكوين السليم للإنسان، يقول :

"أدب الأطفال وسيلة من وسائل التعليم والتثقيف بالتسلية والمشاركة فى الخبرة، ومن هنا؛ كان أدب الأطفال من أقوى الدعامات فى التكوين السليم للإنسان" (١٠)

والحديث عن دور أدب الأطفال التربوى، يقرر ازدواجية الطابع لهذا النوع الأدبى، إذ ينبغى أن يتصف بكل ما يتصف به الأدب قاصدًا إلى الإمتاع من طريق جماليات الأدب، وأن يراعى مع

ذلك وإلى جوار ذلك – دون تعارض أو تصارع يتصل بتقديم الأهم على المهم – الإفادة بمثل ما اتصف بالإمتاع، وتلك هى المعادلة الصعبة التى تتأبى على أنصاف المبدعين من أهل النظم ولا تتيسر إلا لأهل الإبداع؛ وهى المسئولة عن ضعف أكثر الشعر المقدم للأطفال، والنجاح ينبغى أن يتحقق فى الإطارين معًا، إطار الإمتاع وإطار الإفادة، ليحقق أدب الأطفال وظيفته الجمالية والتربوية، ولذا ينبغى أن "نميز فى أدب الأطفال بين أمرين فى غاية الأهمية، هما : سياق النص والسياق التربوى، فهناك منظومة كلمات هى من طبيعة الأدب، ومنظومة قيم هى من طبيعة التربية وأهدافهما" (١١)

على أنه يجب الاحتراز من تحول أدب الأطفال كلية إلى وثيقة تربوية خالصة تهمل معايير الأدب الأصلية، التى ينتسب إليها فى الأساس، إذ هو أدب قبل أن يكون شيئًا آخر، وقد أشار تحفظ غير واحد على هذا التحول، فضبط العلامة بين مقومات أدب الأطفال المنشود، فقال الأستاذ محمد بريغش بعد تأكيده على استهداف أدب الأطفال لقيم تربوية خاصة فى خطابه للأطفال :

"ولا يعنى هذا أن يتحول أدب الأطفال إلى دروس فى التربية والتعليم، وإنما يعنى أن يكون الأديب داعيًا لعمله، مقدرًا الغايات، السامية التى يهدف إليها فى هذا اللون الأدبى الذى يبدعه للصغار، وحين يتحقق ذلك يستطيع أن يمضى فى سبيله على بصيرة، ويحقق هدفه بنجاح وحكمة دون أن يخل بمستلزمات هذا الفن أو يخرج عن سماته المميزة له" (١٢)

"ولقد صار الإيمان بدور أدب الأطفال التربوى أمرًا مستقرًا" (١٣) يحكى ما يشبه الإجماع بين المشتغلين بهذا المجال، ولذلك اشتراطات واجبة تتصل بمطالب النمو، فإذا ما "أردنا لأدب الأطفال أن يعطى ما ينتظر منه فى مجال التربية ينبغى أن يتوفر له التوافق مع مطالب النمو فى المضمون والشكل والأسلوب" (١٤) وهو عين ما أورده الدكتور أحمد زلط تحت مسمى مصطلح "التناسبية" إذ إن "أدب الطفل هو كل محتوى لغوى يتوافر فيه عنصرا الأدب وهما : جمال اللفظ وسمو المعنى؛ إلى جانب توفر عنصر ثالث خاص بالأطفال وهو التناسبية من حيث الشكل والمضمون" (١٥)

ولأدب الأطفال أنواعه التى تستهوى الطفل وتمتعه، فقد عرف أدب الأطفال معظم الأنواع الأدبية، فعرف الشعر بألوانه المسرحية والغنائية والقصصية والتاريخية، وكذا عرف الأغنية والنشيد، "والقصة هى أحب هذه الأنواع إلى الطفل" (١٦)

ولشعر الأطفال أهميته البالغة فى الأدب الطفلى، والتى تتأسس على عدة أسباب، ترشحه لأن يكون أحد أهم الأنواع فى مجال أدب الأطفال.

ومن قديم كانت الأمهات ترقص أطفالهن بالشعر؛ فقد رووا أن امرأة من قريش كانت ترقص ولدها قائلة :

أحبك والرحمن

حب قريش عثمان

إذا دعا بالميزان (١٨)

أى إذا نادى بالعدل

"وفى تاريخنا القديم كثرت الأمهودات "أغانى المهد" التى كانت الأمهات خاصة يرددنها ليشبعن حاجات أطفالهن فى مرحلتى الرضاعة وما قبل المدرسة إلى الأمن والحب، استنادًا إلى أن الأطفال الصغار إيقاعيون بالفطرة، وأن "الاستجابة للإيقاع الموزون فطرية فى الإنسان منذ خلق" (١٩) وتتصل هذه الأمهودات بانجذاب الطفل إلى الموسيقى وميله الفطرى إلى الإيقاع إذ "الأطفال فى طبيعتهم استعداد أصيل للتغنى بما يستحوذ على أفئدتهم من الكلام الموسيقى المنغم، ولهذا فإن نماذج الشعر الجيدة تكون ذات شأن كبير فى هذا المجال" (٢٠)

ويذهب الدكتور هادى نعمان الهيتى إلي الرأى ذاته فيرى أن :

"الأطفال ميالون إلى الإيقاع، فالطفل منذ أيامه الأولى يكف عن البكاء، ويهدأ؛ وقد يستسلم للنوم العميق حين تأخذ الأم بالربت على قفاه برقة؛ وحين تهز بمهده ذات اليمين وذات الشمال؛ فى إيقاعات متكررة" (٢١)

ويجدد الدكتور أحمد زلط إيمان المختصين بأدب الأطفال بهذه الحقيقة فيقول : "والأطفال ميالون بطبيعتهم إلى التغنى والإنشاد، وهم يفرحون وينشطون بذلك، وفى ضوء ذلك كان لأناشيد الأطفال وأغانيهم أهمية غير قليلة فى استثارة أحاسيسهم وتحريك مشاعرهم" (٢٢)

والنشيد من بين سائر أنواع شعر الأطفال يبرز نوعًا أدبيًا محببًا للأطفال؛ إذ "الأناشيد من أهم أشكال أدب الأطفال، وهى تناسب الطفل فى مختلف مراحل حياته" (٢٣) فالأناشيد وكما يرى الدكتور عبدالرؤوف أبوالسعد على وجه الخصوص ذات أثر عميق وإيجابى فى حياة الطفل (٢٤)

ويختص الدكتور أحمد زلط الأناشيد بتعزيزها لجانب التربية الوجدانية للناشئة فيقول :

"وليس من شك أن التربية الوجدانية بالأناشيد، من الأساليب التربوية الراسخة لبعث ملكات التذوق اللغوى أو الاكتساب المعرفى عند الناشئة، وترقية الميول الأدبية والوجدانية" (٢٥)

أما عن أهداف نشيد الطفل فقد أجمل البعض فى حديثه عن غايات النشيد الطفلى اللغوية ومقاصده التربوية، وفصل آخرون وممن أجملوا الدكتور على أحمد مدكور؛ إذ رأى أن أهمية الأناشيد تكمن فى أنها تحقق كثيرًا من الغايات اللغوية والتربوية.

١- فهى وسيلة من وسائل علاج التلاميذ الذين يغلب عليهم الخجل أو التردد فى النطق.

٢ – تحرك دوافع التلاميذ، لأنها تبعث فيهم السرور، وتجدد النشاط عندهم لما فيها من موسيقى وإيقاع جميل.

٣ – تدفع التلاميذ إلى تجويد النطق وسلامة اللغة.

٤ – لها تأثير قوى فى إكساب التلاميذ المثل العليا والصفات السامية، وعن طريقها تتهذب لغتهم ويسمو أسلوبهم (٣١)

وممن فصلوا فى ذلك، فجمع عن أكثر من مصدر ما اهتدى إليه مؤلفوها من غايات للنشيد الدكتور حسن شحاته، فأناشيد الأطفال عنده :

وسيلة مجدية فى علاج التلاميذ الذين يغلب عليهم الخجل والتردد ويتهيبون النطق منفردين.

وهى تحرك دوافع التلاميذ، لأنها تبعث عندهم السرور، وهى ذات أثر واضح فى تجديد نشاطهم، وتبديد سآمتهم، لما فيها من تلحين عذب. وهى ذات أثر قوى فى إكساب التلاميذ الصفات النبيلة والمثل العليا.

والأناشيد الملحنة تدفع التلاميذ إلى تجويد النطق، وإخراج الحروف من مخارجها السليمة.

والأناشيد من الوسائل الناجحة فى تزويد التلاميذ باللغة السليمة، وعن طريقها تتهذب لغتهم ويسمو أسلوبهم.

تعمل على إمداد التلاميذ بثروة لغوية وفكرية تعينهم على إجادة التعبير.

تدربهم على فهم الأساليب الأدبية، إذ لا شك أنها أعمق معنى، وأصعب فهمًا من الأساليب العادية.

تنمى اتجاهاتهم الاجتماعية بما تشبعه القطع الأدبية من معان سامية فى نفوسهم وتوقظ شعورهم.

تدربهم على حسن الأداء وجودة الإلقاء وتمثيل المعنى.

تعمل على تربية الذوق الأدبى عند التلاميذ بتمرسهم بالصور الأدبية والتعبيرات الرائعة التى يبدعها الأدباء.

توسع خيال التلاميذ بما فى القطع الأدبية من صور خيالية. (٣٢)

وشعر الأطفال على هذا النحو أدب تعليمى تقويمى تطهيرى، له غاياته المعتبرة ومقاصده المرسومة، وممن فصَّل أيضًا فى غايات النشيد الطفلى الدكتور عبدالرؤوف أبوالسعد، وهو يجمع فى حديثه عن التأثيرات الوجدانية والإدراكية التى للشعر عامة وللأناشيد خاصة، فيرى أنهما :

١ـ وسيلتان أصيلتان فى تقوية الوجدان، وإخراج التلاميذ من عالمهم الاغترابى الانعزالى، ومن عداد من يغلب عليهم الخجل والتردد، ويتهيَّبون النطق منفردين.

٢ـ كما أنهما يبعثان السرور عند التلاميذ، وهما يجددان النشاط، ويبدِّدان السأم لما فيهما من إيقاع وتلحين وعذوبة.

٣ـ ودورهما عظيم فى إكساب التلاميذ الصفات النبيلة.

٤ـ والشعر والأناشيد يدفعان الأطفال وتلاميذ المدارس إلى تجويد النطق، وتكوين عادات صوتية سليمة، وأداء لغوى صحيح، وإخراج الحروف من مخارجها السليمة الصحيحة.

٥ـ كما أن الشعر والأناشيد من الوسائل الناجعة فى تهذيب اللغة، وتزويد الأطفال باللغة السليمة، وبهما يسمو الأسلوب وتنمو القدرات اللسانية.

٦ـ وللشعر والأناشيد دور فى تحقيق التقارب بين العامية والفصحى، وذلك بصعود العامى إلى مستوى الفصيح فتقوى الصلات القومية، ويُقضى على الثنائية اللغوية. (٣٣)

وقد أثبت الدكـتور هادى الهيتى من القسمات العامة الخاصة بشعر الأطفال أحد عشر قسيمًا، انتهى إلى أنها مما يجعل الشعر الطفلى مناسبًا لجمهوره، منها :

استخدام الكلمات التى يتسع لها قاموس الأطفال اللغوى والإدراكى.

أن تكون الكلمات ذات انسجام خاص.

أن يتجانس اللفظ مع المعنى، بعيدًا عن الحشو المخلِّ، والقصور الذى لا يفى بالمعنى.

أن يطفح شعر الأطفال بالإيقاع والموسيقى.

أن يحمل أفكارًا وقيمًا تمد الأطفال بالتجارب والخبرات.

أن يشيع الخيال المنشئ فى شعر الأطفال.

ألا يتسع شعر الأطفال للعواطف والانفعالات الحادة كالحزن والقلق واليأس.

أن تكون لغة شعر الأطفال لغة عربية فصيحة بسيطة.

أن يتلاءم شعر الأطفال شكلاً ومضمونًا مع مستويات نمو الأطفال الأدبى والعقلى والإدراكى والاجتماعى، لأن لكل مرحلة من مراحل الطفولة ما يناسبها من الشعر (٣٤)

وقد وضع المختصون اشتراطات لشعر الأطفال الجيد، وأناشيدهم المختارة، وهى اشتراطات يجب أن تُراعى عند اختيار شعر الأطفال، وبخاصة فى المناهج الدراسية، لما لتأثيرها المباشر والعميق على قطاع ضخم ومتجدد من الأطفال فى مؤسسات التعليم، والحديث عن تأثيرات أدب الطفل ومقاصده لن يكون مجديًا ما لم تعمل أسس بعينها فى اختيار شعر الأطفال الذى يجب أن يكون من خصائصه :

١ـ أن تشبع تلك الأعمال الجمالية ـ القائمة على اللغة، والموسيقا أساسًا ـ حاجات الأطفال، وتتجاوب مع خصوصياتهم.

٢ـ أن تساعد الأطفال كى يستثمروها فى مناسباتهم وأعيادهم وتجمعاتهم.

٣ـ أن تكون سهلة فى لغتها، جميلة فى أسلوبها، سلسة فى جملها.

٤ـ أن تعمل هذه الأشعار والأناشيد على إثارة العواطف القومية والوطنية والدينية والإنسانية حتى تستطيع مخاطبة وجدان الأطفال.

٥ـ أن تكون تلك الأناشيد والأشعار متجاوبة مع الأحداث التى تحقق للطفل الالتحام الاجتماعى، وتلك المناسبات والأحداث التى تحقق له ارتباطًا وثيقًا بقيمه ودينه وأرضه.

٦ـ أن تكون صور الشعر فيَّاضةً بالعذوبة والرقة والوداعة فى المواقف المناسبة وأن تتدفق الكلمات وتقوى، وتعلو الموسيقى مثيرة وحاثَّة ودافعة، وصـاعدة، لتحقـق الحمـاس وقوة الارتبـاط (٣٥)

ويضيف الدكتور الطاووس اشتراطًا جديدًا طريفًا وهامًا جدًا، يتصل بمراعاة النوع؛ إذ يجب "إن تُراعِى الأناشيدُ الجانبَ النوعى مع الحفاظ على روح التكامل والتجانس، فللذكـــور كلامُهم الذى يجب أن يمتلئ

بكل ما من شأنه تقوية الشعور بالرجولة وقيمها، وللإناث طبيعتهن التى يجب أن تُراعَى" (٣٦)

وجملة القول إن شعر الأطفال خاصة الأناشيد يجب أن يراعى فيه أمران بالغا الخطورة هما :

أولاً : خصائص الأدب والفنون الشكلية والجمالية والتنظيمية النوعية.

ثانيًا : خصوصية الطفل؛ إذ عليها أن تراعى مستوى إدراكه اللغوى والنفسى كما يجب أن تهتم بإشباع حاجات الطفل الضرورية إلى المرح والسرور والفكاهة واللعب والانتماء والتقدير والنجاح.

وبالضرورة ينبغى أن يراعِى القائمون على اختيارات الشعر بالمناهج الدراسية تلك المقومات بعيدًا عن المجاملة أو الاستجابة لنوازع التجربة السابقة أيام كانوا طلابًا.

والفصل التالى يبحث فى مدى توافق تلك المقومات النظرية فى شعر الأطفال بالحلقة الأولى من التعليم الأساسى بمصر ٢٠١٣ / ٢٠١٤.

دار الكتب والوثائق القومية

هوامش الفصل الأول

(*) ربما بدا أن خلطًا ما يتم بين الأدب والشعر فى الحديث عن علاقتهما بالتربية؛ فتارة يكون الحديث عن الأدب وتارة أخرى يكون الحديث عن الشعر، وليس هناك خلط فالشعر أولاً هو أحد أهم أنواع الأدب، والحديث عن غايات الأدب التربوية يتصل مباشرة بالشعر فهو الأشهر

والأبقى، والقدماء خاصة لم يكن لهم معرفـة بغير الشعر والخطابة، وفيما بعدُ المقامــة، والتـنقُّل هنا عند الحديث عن التربـية فى علاقتها بالأدب والشعر ـ تنقلٌ من العام "الأدب" إلى الخاص "الشعر" لا يضير حين الحديث عن التربية فى علاقتها بهذا أو ذاك.

(١) مقاربة النص الأدبى بين الرؤية والفن، دكتور وليد قصاب، مقـال ضمن بحوث مجلة الأدب الإسلامى "تصدر عن رابطة الأدب الإسـلامى العالمـية" (إبريل ٢٠١٣) صفحة ١١

(٢) أدب الأطفال "فلسفته، فنونه، وسائطه" هادى نعمان الهيتى، الهيئـة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، ١٩٧٧، صفحة ٩٦.

(٣) أدب الأطفال بين أحمد شوقى وعثمان جلال، دكتور أحمد زلـط ، دار النشر للجامعات المصرية، الطبعة الأولى ١٩٩٤، صفحة ١٦.

(٤) أدب الأطفال العربى " دراسة معاصرة فى التأصيل والتحليل" دكتور أحمد زلط، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر بالإسكندرية، الطبعة الأولى ٢٠٠٨، صفحة ١٢٢، نقلاً عن أدب الأطفال فى ضوء الإسلام للدكتور نجيب الكيلانى ص٤٣.

(٥) أدب الأطفال العربى "دراسات وبحوث" دكتور حسن شحاتة، الدار المصرية اللبنانية مصر، الطبعة الثانية ١٩٩٤، ص٧.

ويراجع قوله فى صفحة ٢٢ : (ويشارك الشعر الذى يقرؤه الأطفال فى تنشئتهم وتربيتهم تربية متكاملة.. فهو يغرس القيم التربوية فى نفوسهم وينمى الميول الأدبية والقرائية لديهم) وقد جعل الدكتور شحاتة أول معايير اختيار شعر الأطفال هو (دوران الشعر حول هدف تربـوى) ص٢٣.

(٦) أدب الأطفال تربية ومسئولية، محمد حسن بريغش، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع بالمنصورة، الطبعة الأولى ١٩٩٢، صفحة ٥.

ويراجع أيضًا : ص٩٤ (أما أدب الأطفال فإنه من أهم الوسائل التى تسهم فى عملية البناء التربوى، والحماية من الأخطار التى تهدم التربية وتفسد الفطـرة السليمــة) ويراجع كذلك ص٨٧ هامش (١٩١).

(٧) نفسه ٩.

(٨) العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق، تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد، دار الطلائع بمصر، الطبعة الأولى ٢٠٠٦، ١/٢٤.

(٩) تقويم أدب الأطفال فى كتب القراءة والمحفوظات فى الصفوف الرابع والخامس والسادس من التعليم الأساسى، رسالة ماجستير مخطوطة بكلية التربية جامـعة المنصورة، إعداد : المهدى على البدرى أحمد، بإشراف أ.د طه وادى، أ.د عواطف شعير، ١٩٨٥، صفحة ٢٧.

(١٠) فى أدب الأطفال، الدكتور على الحديدى، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة السادسة ١٩٩١، صفحة ١٠.

(١١) أدب الطفل العربى (زلط) ١٢٦.

(١٢) أدب الأطفال تربية ومسئولية ١٠٦.

(١٣) من الرواد المعنيين بأدب الأطفال من يعتبر العناية بالقيم التربوية فى أدب الأطفال إحدى أسباب تخلف أطفالنا عن أطفال الدنيا، فيرى الأستاذ عبدالتواب يوسف أنه (لا ذنب لأطفالنا إذا تخلفوا عن أطفال الدنيا، إذ إن الكبار عندنا ركزوا على أمرين فى أسلوب تعاملهم بتنشـئة الأطفال.

الأول : الكم التعليمى المعرفى.

الثانى : الكم التربوى الأخلاقى ثم يتساءل متعجبًا : (ما هى القيم الأخلاقية فى الجيوكندا ؟

ما هى القيم التربوية فى السيمفونيات ؟)

يراجع فى ذلك : الطفولة والقيم لعبدالتواب يوسف "ضمن البحوث المتضمنة للحلقة الدراسية الإقليمية لعام ٨٥ بعنوان : القيم التربوية فى ثقافة الطفل، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧، ص ١٠٢.

ويخيل إلى أن رأى الأستاذ عبدالتواب ليس إلا رد فعل على المباشرية والوعظية التى باتت ظاهرة غالبة فى أدب الطفل على باقى مقوماته الرئيسية، بحيث بددت طابعه الأظـهر الذى طغى على سائر مرتكزاته الأدبية والجمالية الأخرى، والأمر يقتضى وعيـًا عميقًا من المبدع بتوازنات العملية الإبداعية الخاصة بالطفل الذى تختلف حاجاته وظروفه واهتماماته عن الراشـد الذى يمكنه أن يهتدى إلى ما فى الجيوكندا والسيمفـونية من جمال وإبداع، وربما فكر وقيم.. بخلاف الصغير، ويمكننا الوقوف على بعض تلك المعانى التى ذهبت إليها فى قـول الأستاذ عبدالتواب نفسه حين يرى أن ثقافة الأطـفال أكبر من هذا "يقصد الكم التعليمى والتربوى فى أدب الطفل "فـ (تنمية ذكائهم وسيلة تدريبهم على الإبداع والابتكار أسلوب، اكتشافهم لأنفسهم وقدراتهم طريق. التفكير العلمى والمنطقى من أسس عصرنا. الترفيه ورسم ابتسامة على شفاهه وارد، توسيع آفاقهم وخيالهم من الضرورات) ص ١٠٢ – ١٠٤.

إذ تتكرر لديه إلى جوار الترفيه والمتعة والابتسامة، الكلمات : " تدريب، اكتشاف، التفكير، التمرين، توسيع الآفاق" وجميعها تتصل بالتعليم والتربية وكأنه لا يرفض على الحقيقة أن تكون التربية مقصدًا من مقاصد أدب الطفل، وإنما يريد لها أن توضع فى نصابها بلا عدوان على قيم الأدب الإمتاعية الجمالية الأصيلة.

(١٤) أدب الأطفال تربية ومسؤولية ٩٨. نقلاً عن صبيحة فارس فى كتابها الاتجاهات الجديدة فى ثقافة الأطفال، الصادر عن النادى الثقافى العربى، بحث : أدب الأطفال ومـراحل النمو ٧٩.

(١٥) أدب الطفل العربى (زلط) ١٢٦.

ويراجع فى هذه التناسبية أيضًا : الطفل وعالمه الأدبى للدكتور عبدالرؤوف أبوالسعـد، دار المعارف بالقاهرة الطبعة الأولى ١٩٩٤، ص ١٥٩ وفيها : (وهكذا نكون قد نمَّيْنا الجانب المعرفى لدى طفلنا، وسمونا بمداركه، كما نسمو بلغته، ومحصوله من الثروة اللفظية، ولاشك أننا فى كل ذلك نراعى ما يناسب عمر الطفل)

ويراجع كذلك : أدب الأطفال علم وفن للأستاذ أحمد نجيب، دار الفكر العربى ١٩٩١ ص١٥٠

وفيها يقول عن أغنية الطفل : (إذا كان شرط الجودة أمرًا أساسيًا، فإن شرط مناسبتها لمستوى الطفل وبخاصة من الناحيتين اللغوية والفكرية لا يقل فى أهميته)

(١٦) يراجع فى ذلك : القصة فى التربية للدكتور عبدالعزيز عبدالمجيد، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة ١٩٥٦، ص٣. وفيها : (والقصة تأتى فى المقام الأول من أدب الأطفال، وكلهم يميل إليها، ويتمتعون بها، ويجذبهم ما بها من أفكار وأخيلة وحوادث، فإذا أضيف إلى هذا كله سرد جميل، كانت القصة قطعة من الفن الحبيب إلى الأطفال)

(١٧) يراجع الطفل وعالمه الأدبى ١٨٠.

(١٨) أغانى ترقيص الأطفال عند العرب منذ الجاهلية حتى نهاية العصر الأموى، أحمد أبوسعد، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢ ص٥٦. إذا دعا بالميزان : أى إذا نادى بالعدل.

(١٩) فى أدب الأطفال (الحديدى) ٢٩٠.

(٢٠) أدب الأطفال علم وفن ص١٥٠.

(٢١) أدب الأطفال (الهيتى) ٢٠٧.

(٢٢) أدب الأطفال بين أحمد شوقى وعثمان جلال ص١١٩.

ويراجع أيضًا : أدب الطفل العربى (شحاتة) ص٢١٦ وفيه : (أن الأطفال فى هذه المرحلة العمرية يميلون إلى التغنى، ويطربون للأناشيد فهى مبعث لنشاطهم وسرورهم، لذا يمكن الانتفاع بهذا الميل فى تعليمهم وتنمية الذوق لديهم)

(٢٣) الأدب المصرى للأطفال فى كتابات الرواد "دراسة موضوعية وفنية" دكتور محمد إبراهيم الطاووس، دار النهضة العربية بالقاهرة ٢٠٠٧، ص٥٨.

(٢٤) الطفل وعالمه الأدبى ٦٠.

(٢٥) أدب الأطفال بين شوقى و جلال ١٢٣.

ويراجع : أدب الأطفال تربية ومسئولية ١٦٥ وفية : (والطفل يميل فطريًا للشعر والغناء، ولذلك ينبغى استغلال هذه الظاهرة لصقل ملكات الطفل وتقوية الحس الجمالى عنده)

(٢٦) لسان العرب، مادة: "ن ش د" طبعة دار الحديث بالقاهرة ٢٠٠٣، المجلد الثامن ص٥٥١.

(٢٧) فنون اللغة العربية، دكتور على أحمد مدكور، دار الشواف للنشر والتوزيع بالقاهرة، ١٩٩١، ص٢٥١.

(٢٨) الطفل وعالمه الأدبى ٢٥٧.

(٢٩) محمود أبوالوفا "دواوين شعره ودراسات بأقلام معاصريه" الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٩ ، ص٣٥٩ . والكلام للشاعر محمود أبو الوفا نفسه. ويراجع : أدب الأطفال بين شوقى وجلال ١٢٢ وفيه : (وللنشيد وظائف لا يؤديها سواه)

(٣٠) أدب الطفل العربى (شحاتة) ٢١٦ ، ٢١٧.

(٣١) فنون اللغة العربية ٢٥١.

(٣٢) أدب الطفل العربى (شحاتة) ٢١٦ ، ٢١٧. ومن البين توافق النصين السابقين بالمتن على تعابير بعينها من مثل : علاج التلاميذ الذين يغلب عليهم الخجل.

تُحرك دوافع التلاميذ لأنها تبعث السرور

تدفع التلاميذ إلى تجويد النطق

أثر (تأثير) قوى فى إكساب التلاميذ الصفات والمثل

ويبدو أن ذلك ناشئ عن الاعتماد على مصدر بعينه استلهمه الباحثان، أحدهما ترسب فى لاوعيه، والآخر نقل عن وعى فأشار إلى المصدر.

(٣٣) أدب الطفل العربى (شحاتة)١٨١.

(٣٤) أدب الأطفال للهيتى ٢١٥ ، ٢١٦.

وفى كتاب الدكتورة هدى محمد قناوى قريب جدًا من هذا، مع اختلاف يسير فى اللفظ، ففى حديثها عن خصائص أناشيد وأغانى الأطفال ترى :

أهمية استخدام الكلمات التى يتسع لها معجم الأطفال اللغوى والإدراكى.

أن يتجانس اللفظ مع المعنى بعيدًا عن الحشو الممل والقصور الذى لا يفـى بالمعنى.

أن تكون أناشيد الأطفال باللغة العربية الفصحى البسيطة.

أن يمتلئ شعر الأطفال بالإيقاع والموسيقى اللذين يوحيان بمعان تتجاوز المعنى الذى تدل عليه الألفاظ.

يراجع فى ذلك : الطفل وأدب الأطفال، الدكتورة هدى محمد قناوى، مكتبـــة الأنجـلو المصرية ١٩٩٤، ص١٤١ ، ١٤٢.

(٣٥) أدب الطفل العربى (شحاتة) ٢٥٨.

(٣٦) الأدب المصرى للأطفال ٥٩.

دار الكتب والوثائق القومية

الفصل الثانى : شعر الأطفال فى مناهج الحلقة الأولى من التعليم الأساسى "دراسة وصفية نقدية"

المبحث الأول : الدراسة الوصفية لشعر الأطفال المصرى بمناهج التعليم الأساسى :

اختصت مادة الدراسة بالنص الشعرى فى مناهج الحلقة الأولى من التعليم الأساسى بمصر فى العام الدراسى ٢٠١٣ / ٢٠١٤ بفصليها الدراسيين، وفى مقررى اللغة العربية والتربية الإسلامية، وهى مادة تستغرق أربعين نصًا، جلها فى مقرر اللغة العربية ٣٥ نصًا بنسبة ٨٧,٥ % وقليلها

"خمسة نصوص فقط" فى مقرر التربية الإسلامية بنسبة ١٢,٥ % وإجمالى الأبيات ٢٧٢ "مائتان واثنان وسبعون بيتًا" كما يبدو من الجدول الآتى :

م	الصف والفصل	عنوان النص	موضوعه	الشاعر	عدد الأبيات	المقرر
١	٢/١	نشيد أمى	أسرى	سليمان حسن علام	٦	اللغة العربية
٢	٢/١	نشيد العمل	سلوكى	أحمد زرزور	٥	اللغة العربية
٣	٢/١	نشيد وطنى	وطنى	رضا محمد	٥	اللغة العربية
٤	١/٢	الله القدير	إيمانى	يوسف العظم	٥	اللغة العربية
٥	١/٢	أحب أبى وأمى	أسرى	--	٦	اللغة العربية
٦	١/٢	نحن لها فداء	وطنى	أحمد إسماعيل	٦	اللغة العربية
٧	١/٢	بدون عنوان	اجتماعى	--	٤	اللغة العربية
٨	١/٢	غرد يا عصفورى	ترفيهى	محمد يوسف المحجوب	٤	اللغة العربية
٩	١/٢	الشجرة	إيمانى	--	٥	التربية الإسلامية
١٠	١/٢	دعاء	وطنى	أحمد هيكل	٣	التربية الإسلامية
١١	٢/٢	هيا نقرأ	تعليمى	أحمد إسماعيل	٦	اللغة العربية
١٢	٢/٢	يا ربنا سبحانك	إيمانى	أحمد عمر	٦	اللغة العربية
١٣	٢/٢	أجمل يوم	وطنى	أحمد عبد الجواد	٧	اللغة العربية
١٤	٢/٢	طلع البدر علينا	دينى	"من التراث"	٤	التربية الإسلامية
١٥	١/٣	لا تقطف الزهور	سلوكى	حسين أحمد إسماعيل	٨	اللغة العربية
١٦	١/٣	نصائح غالية	سلوكى	حسين أحمد إسماعيل	٦	اللغة العربية
١٧	١/٣	هيا للنشاط	ترفيهى/وطنى	حسين أحمد إسماعيل	٨	اللغة العربية
١٨	٢/٣	بحر العلوم	علمى	حسين أحمد إسماعيل	٨	اللغة العربية
١٩	٢/٣	وطنى	وطنى	حسين أحمد إسماعيل	٩	اللغة العربية
٢٠	٢/٣	حياة عصفورة	أسرى/اجتماعى	حسين أحمد إسماعيل	٨	اللغة العربية
٢١	١/٤	اسلمى يا مصر	وطنى	الرافعى	٥,٥	اللغة العربية

٢٢	١/٤	النيل هو الكوثر	وطنى	أحمد شوقى	٦	اللغة العربية
٢٣	١/٤	ما أحلى أجواء القرية	وطنى	بيان الصفدى	١١	اللغة العربية
٢٤	٢/٤	إنى رأيت نملة	اجتماعى	إيهاب عبدالسلام	٧	اللغة العربية
٢٥	٢/٤	يا قمرى الجميل	تأملى	إيهاب عبدالسلام	١١	اللغة العربية
٢٦	٢/٤	أحب أن أكون	ذاتى	أحمد سويلم	٦	اللغة العربية
٢٧	٢/٤	أهلاً أهلاً يا رمضان	دينى	رفعت المرصفى	٥,٥	اللغة العربية
٢٨	١/٥	مصر أنشودة الدنيا	وطنى	محمود حسن إسماعيل	٦	اللغة العربية
٢٩	١/٥	طريق المعالى	علمى	محمد عبدالمطلب	٧	اللغة العربية
٣٠	١/٥	التسامح والسلام	اجتماعى	أحمد الكاشف	٩	اللغة العربية
٣١	٢/٥	نحب مصر	وطنى	أحمد محرم	٩	اللغة العربية
٣٢	٢/٥	مصر هى الدنيا	وطنى	أحمد شوقى	٦	اللغة العربية
٣٣	٢/٥	الثعلب والديك	أخلاقى	أحمد شوقى	١١	اللغة العربية
٣٤	٢/٥	ربنا الله	دينى	--	٦,٥	التربية الإسلامية
٣٥	١/٦	كن قويًا	أخلاقى	محمود غنيم	٥	اللغة العربية
٣٦	١/٦	البخيل والدجاجة	أخلاقى	محمد عثمان جلال	٧	اللغة العربية
٣٧	١/٦	أخى الإنسان	أخلاقى	عيسى الناعورى	٧	اللغة العربية
٣٨	٢/٦	كلنا أحباب	أخلاقى	حاج أحمد الطيب	٧	اللغة العربية
٣٩	٢/٦	أيام الطفولة	ذاتى	أبوالقاسم الشابى	٩	اللغة العربية
٤٠	٢/٦	وطنى	وطنى	أحمد مخيمر	١١,٥	اللغة العربية
٤٠	إجمالى النصوص		إجمالى الأبيات		٢٧٢	

جدول رقم (١) تفصيلى بنصوص المدونة

ومن القراءة الأولية للجدول تتبدى بعض الملاحظ، منها :

النص الشعرى حاضر بجميع الفصول الدراسية "محل الدراسة" عدا الفصل الدراسى الأول للصف الأول، ويبدو ذلك منطقيًا من الوجهة التعليمية فى ضوء عدم انتظام جميع الأطفال فى مرحلة رياض الأطفال، الأمر الذى يحتاج إلى تأجيل عرض النص الشعرى إلى حين، إذ لا يعرض على طفل ما قبل المدرسة فى الغالب سوى الشعر الشفاهى (العامى) لأغراض ترويحية بالمقام الأول، وليست لغوية.

يخص كل فصل دراسى من الشعر فى الغالب ثلاثة نصوص، إذ تتوزع هذه النصوص بشكل شبه متوازن على الفصول الدراسية لسائر الصفوف، فمتوسط النصوص بكل فصل ١٢/٤٠ أى ثلاثة نصوص وثلث لكل فصل، لكن أغلب الفصول حاز ثلاثة نصوص فقط كما هو الحال فى الفصل الدراسى الأول للصفوف : الثالث والرابع والخامس والسادس، وكما فى الفصل الدراسى الثانى للصفوف : الأول والثالث والسادس.

وقد يزاد إلى تلك نصٌّ بمقرر التربية الإسلامية فترتفع النصوص إلى أربعة بالفصل الدراسى وبخاصة الثانى كما هو الحال بالصفوف الثانى والرابع والخامس.

الفصل / الصف	الأول "عدد النصوص"	الثانى	إجمالى
١	--	٣ (٣)	٣
٢	٥ + ٢ (٧)	٣ + ١ (٤)	١١
٣	٣ (٣)	٣ (٣)	٦
٤	٣ (٣)	٣ + ١ (٤)	٧
٥	٣ (٣)	٣ + ١ (٤)	٧
٦	٣ (٣)	٣ (٣)	٦
	(١٩)	(٢١)	٤٠

جدول رقم (٢) توزيع النصوص الشعرية على الفصلين الدراسيين

"أول وثانٍ"

"الرقم بعد إشارة الإضافة (+) يشير إلى نصوص التربية الإسلامية، وقبله يشير إلى نصوص اللغة العربية، أما الرقم بين القوسين ( ) فإجمالى النصوص".

ومن البين أنه إذا ما كان الحديث خاصًا بمقرر اللغة العربية "دون التربية الإسلامية" فإن رقم (٣) يكون هو المسيطر، إذا يصبح إجمالى الفصول الدراسية التى يتردد بها ثلاثة نصوص شعرية لا مزيد عن ذلك، ولا نقص عشرة من أحد عشر فصلاً، والاستثناء الوحيد من ذلك هو الفصل الدراسى الأول للصف الثانى، وبه خمسة نصوص شعرية كاملة هى : الله القدير، أحب أبى وأمى، نحن لها فداء، غرد يا عصفورى، إضافة إلى نص بدون عنوان للاستماع، وفيه :

أبى يا طيب القلب ويا نورًا على قلبى

ويا رمزًا أقلده بكل الفخر والحب

واللافت أن موضع النصوص دائمًا ما كان بنهاية الوحدة التعليمية، وفى تأخره المنتظم هذا، ما يدل على أن هناك تخطيطًا مسبقًا لبناء المنهج.

وفى إرجاء النص الشعرى "النشيد غالبًا" إلى نهاية الوحدة تعظيم لدور الشعر، وتعزيز لمقصد المرح والسرور الذى يضفيه الشعر من ناحية، والمتحقق بنفوس الطلاب دائمًا مع الانتهاء من كل تعليم من ناحية أخرى، وفى ذلك ربما تقدير لسمو لغة الشعر من ناحية ثالثة، فهى التى ينتهى إليها المآل بعد أن تقدمته النصوص القرائية أو الحكائية أو التعليمية بعامة.

وتنتمى النصوص الأربعون إلى "٢٦" شاعرًا، جلهم مصريون، وأكثرهم ليس له بالمدونة إلا نص شعرى وحيد، وشاعر وحيد له نصان بالصف الرابع هو إيهاب عبدالسلام، فى حين يتردد لأحمد شوقى ثلاثة نصوص بالصفين الرابع والخامس. وتخلص كامل نصوص الصف الثالث الستة للشاعر حسين أحمد إسماعيل. والشعراء المفردون هم على الترتيب بحسب الصفوف الدراسية : يوسف العظم، سليمان حسن علام، أحمد زرزور، رضا محمد، محمد يوسف المحجوب، د. أحمد هيكل، أحمد عمر، أحمد عبدالجواد، الرافعى، بيان الصفدى، أحمد سويلم، رفعت المرصفى، محمود حسن إسماعيل، محمد عبدالمطلب، أحمد الكاشف، أحمد محرم، محمود غنيم، محمد عثمان جلال، عيسى الناعورى، حاج أحمد طيب، أبوالقاسم الشابى، أحمد مخيمر.

وتغطى النصـوص الشعرية بالنظـر إلى مؤلفيها جانبًا معتبرًا من أرجاء الوطن العربى، فلئن كان غالبية الشعراء هم بالفعل مصريون، فهناك : يوسف العظم وعيسى الناعورى من الأردن والناعورى بالأساس من أصول فلسطينية

وهناك : بيان الصفدى من سوريا.

ومن السودان الشقيق حاج أحمد طيب.

ومن تونس الخضراء أبوالقاسم الشابى.

وهكذا ينتقل طائر الشعر بالمدونة (١) شرقًا وغربًا وجنوبًا، راسخًا بأقدامه على نحو لافت بحديقة الشعر المصرية. وربما كان هذا التجوال العربى بالتعريف بشعراء العرب هو مظهر القومية العربية الوحيد الخافت الباقى بالمدونة؛ إذ يكاد يختفى الحديث عن القومية العربية والوطن العربى الأكبر، بخلاف ما كان عليه الحال فى ستينيات وسبعينيات القرن الماضى؛ إذ كانت فكرة القومية العربية غالبة على مناهج التعليم والخطاب السياسى على سواء.

أما الزمان الذى تغطيه أشعار المدونة، فأغلبها ينتمى إلى الأدب المعاصر أوالعصر الحديث، وذلك اختيار جيد؛ إذ تقترب لغةُ الشعر الحديث ومضامينُه من واقع الطفل، مما يسهِّل عليه تلقيه، وييسر له التعامل معه، والإعجاب به وترديده، والشعراء فى غالبيتهم هم أبناء زمان الطفل وبيئته، ولذا فآمالهم آماله، وآلامهم آلامه كذلك.

وحسنًا فعل القائمون على اختيار الأناشيد، إذ جعلوها فى الصفوف الثلاثة الأولى وباستثناء الرواد : "يوسف العظم وزرزور وأحمد هيكل" لشعراء معاصرين هم بالأساس ممن يكتبون

للأطفال، وأكثرهم مغمور، لكنهم ممن تتميز لغتهم بالسهولة والجمال فى أغلب الأحيان.

وبعض شعراء المدونة هم ممن عاشوا باكرًا فى مرحلة النهضة الأدبية المصرية والعربية، أمثال : محمد عثمان جلال، وأحمد شوقى، والرافعى، ومحمد عبدالمطلب، وأحمد محرم، ومحمود حسن إسماعيل، وتقع نصوص هؤلاء فى الصفوف الثلاثة الأخيرة من الحلقة، وهو أمر يُحْمد للقائمين على الاختيارات الشعرية، فنصوص هؤلاء أعمق، ومن ثم فهى تحتاج إلى مستوى نماء عقلى ولغوى، وقدرة على التخيُّل والاستنباط لا تتيسر إلا لمرحلة الطفولة المتوسطة مما لا يتاح لرفاقهم بالصفوف الأولى.

دار الكتب والوثائق القومية

المبحث الثانى : شعر الأطفال فى الحلقة الأولى من التعليم الأساسى بمصر

٢٠١٣ / ٢٠١٤ دراسة نقدية

فى دراسة رائدة سبق للدكتور حسن شحاتة أن تناول شعر الأطفال فى كتب القراءة والمحفوظات المقدمة للأطفال بالصفوف الستة الأولى من التعليم الأساسى بمصر فى سنة ١٩٨٨ / ١٩٨٩ وفى الدراسة احتكم الدكتور شحاتة إلى معيار لاختيار شعر الأطفال يرتكز على عشرة ضوابط، أراه مازال صالحًا مع بعض الإضافات للإعمال فى شعر الأطفال محل الدراسة الآتية لعام ٢٠١٣ / ٢٠١٤. وذلك لأن البيئة واحدة "مصر" ولم يطرأ تجديد يتعلق بسياسات التعليم

الأولى.

أما ضوابط الدكتور شحاتة العشرة المختارة كمعيار لقياس مدى مناسبة الشعر المقدم للأطفال لحاجاتهم وحياتهم، فهى : (شحاته ١٩٩٤)

١- دوران الشعر حول هدف تربوى.

٢- بساطة الفكرة ووضوحها وتناولها المعانى الحسية.

٣- ارتباط الشعر بالمعجم اللغوى للطفل.

٤- ارتباطه بالفكاهة والمتعة والسرور المملوء بالحيوية.

٥- تنمية خيال الأطفال وإيقاظ مشاعرهم وإحساسهم بالجمال.

٦- الإيقاع الشعرى فى الأوزان والقوافى والكلمات.

٧- تنويع الشعر ليشمل القصة والنشيد والقصيدة والمسرحية والألغاز.

٨١- رتباط النصوص الشعرية بأدب الأطفال.

٩- ارتباط الموضوع الشعرى بمجالات القراءة.

١٠-تدرج الموضوعات الشعرية ونموها بنمو الطفل.[٢]

أما ما يضاف إليها [٣] فهو :

١١- "تعليم الطفل كيفية مراعاة حقوق الآخرين، واحترام عادات المجتمع وتقاليده ونظامه وقانونه.

١٢- أن تستمد المادة الأدبية من بيئتنا وتراثنا، وأن تعبر عن واقعنا.

١٣- أن تشتمل على مختارات على ألسنة أرباب الحرف والصناعات المختلفة.

١٤- أن تشتمل على مقطوعات حول بعض الآثار والمعالم العظيمة.

١٥- أن تساعد الأطفال فى التعرف على الشخصيات الأدبية والتاريخية وأدوارهم.[٤]

الدراسة التقويمية لشعر الأطفال

فى الحلقة الأولى من التعليم الأساسى بمصر

أولاً : دوران الشعر حول هدف تربوى :

لئن جاز أن يرفع بعض الأدباء والنقاد فى حين شعار الفن للفن، ولئن صح أن تبقى ندرة من هؤلاء القلة تُصِرُّ على هذا النهج، فلن تكون هذه الدعوى مقبولة بحال، حينما يكون الحديث عن أدب الأطفال، فالفن معه للفن كما أنه للإنسان، فالفن "ومنه الأدب والشعر" وسيلة إمتاع وإفادة؛ إذ

يجب أن يحمل شعر الأطفال مغزى تربويًا يقصد إليه الشاعر فى لطف مبتعدًا عن المباشرية والوعظ ما أمكنه ذلك، وقد تحققت لبعض شعر المرحلة هذه الغاية التربوية، فبرزت قيم : حب الوطن، والانتماء للأسرة، وكانت قيمة العمل والعلم، والتدين.

وقد جاء الوطن على رأس قائمة القيم الأثيرة فى مدونة شعر الأطفال المدرسى فى حلقة التعليم الأساسى الأولى "محل الدراسة" عام ٢٠١٣ / ٢٠١٤؛ إذ تتردد فى أحد عشر نصًا بما يزيد عن ربع نصوص المدونة، ولم يَخْلُ صف دراسى مطلقًا من نص واحد على الأقل يشيد بالوطن، ويعظم الانتماء له، ويدعو إلى حمايته وخدمته. وتبدأ الإشادة بالوطن أحيانًا من عنوان النشيد ابتداءً، كما يبدو من عنوانات نصوص مثل : وطنى لكل من محمد رضا ٢/١ (٥) وحسين أحمد إسماعيل ٢/٣ وأحمد مخيمر ٢/٦ وهناك بخلاف ذلك نصوص : نحن لها فداء لأحمد إسماعيل ١/٢ ودعاء للدكتور أحمد هيكل ١/٢ أجمل يوم لأحمد عبدالجواد ٢/٢، واسلمى يا مصر للرافعى ١/٤ والنيل هو الكوثر لشوقى ١/٤ وله أيضًا : مصر هى الدنيا ٢/٥، ومصر أنشودة الدنيا لمحمود حسن إسماعيل ١/٥ وأخيرًا نحب مصر لأحمد محرم ٢/٥.

ومن اللافت تدرج مستوى خطاب التعريف بالوطن من صف إلى صف؛ إذ بدأ التعريف بسيطًا مناسبًا فى الصف الأول، وفيه نشيد وطنى للشاعر رضا محمد، يقول فيه :

وطنى وطنى قلب حان

أرض الحب والإيمان

أرض الخير والإحسان

هيـــا هيـــا يا إخوان

نبنى وطنًـا للإنسان

والنص قصير، إيقاعه سلس بسيط، وألفاظه سهلة واضحة الدلالة مما يناسب معجم الطفل المرحلى، لا يتجاوز الشطر فى النص الكلمتين، وأغلب أعجازه كلمة واحدة ما يستقيم مع طابع المرحلة التى ماتزال فى بعض مناحيها شفاهية لا كتابية، الأمر الذى يستلزم تلك البساطة والسهولة.

وفى كلمات النشيد تشيع إلى جوار الوطن "المتكرّر ثلاثًا" كلمات : قيم "الحب والإيمان والإحسان" إلى جانب قيمتى : المرح والعمل المشترك الملموحتين ضمنًا فى بيتيه الأخيرين.

ويبدو الفارق الأسلوبى واضحًا إذا ما قارنَّا هذا النشيد بنشيد الصف السادس لأحمد مخيمر، وفيه يقول بالمقطع الأخير :

وطنى وصبای وأحلامى

بدم الأحرار سأرويه وبماضى العزم سأبنيه

وأشيده وطنًا نضرًا وأقدمـه لابنـى حـرًا

فيصون حماه ويفديه بعزيمـة ليث هجـام

وابتداءً لو قال : ليث مقدام لكان أفضل فى إبعاد شبهة الهجوم أو التهجم، ولأضفى صفة الفروسية، والإقدام على حماة الوطن بدلاً من الهمجية..! والوزن والقافية كلاهما يستقيم ولا يختل مع الدال البديل.

هجام = مقدام = /O/O/O

وبالنشيد يتبدى حضور الخيال واضحًا فى أقواله : بدم الأحرار سأرويه، وطنًا نضرًا، حرًا، بعزيمة ليث هجام. ويبدو هذا الخيال منسابًا بسائر مقاطع النص، فالشاعر فى المقطعين الأولين يقول :

وطنى وصبباى وأحلامى وطنـــى وهـواى وأيـامى

ورضا أمى وحنان أبى وخطى ولدى عند اللعب

يخـطو برجـــاء بســام وطنى وصبباى وأحلامى

وطنى وصبباى وأحلامى

هتف التاريخ به فصحا ومضى وثبًا ومشى مرحًا

حملت يده شُعل النصر وبــدا غـدُهُ أمــل الدهـر

والوطن على النحو الوارد بالمقطع الأول هو كل شىء جميل محبب إلى الشاعر؛ إذ هو الصبا والأحلام والهوى والعمر (أيامى) كما أنه رضا الأم، وحنان الأب، وخطا الولد عند اللعب، بما يعنى أن الوطن هو الأصل والفرع وأنه الحاضر والمستقبل، كما أنه الماضى كذلك، وجميع الحالات على اختلافها وتنوع مناحيها وشموليتها تتفق فى أنها أجمل ما يملكه الإنسان.

والوطن فى المقطع الثانى هو الحضارة والتقدم، هو التاريخ الماجد والغد المشرق، وفى النشيد حماسة مطلوبة، وتسارعُ إيقاعٍ محمودٌ على وزن المتدارك، تكاد تتوافق تفعيلات : "فعلن" مع كلمات المقطع على نحو :

هتف التـ/ـتاريـ/ـخ به / فصحا ومضى / وثبًا / ومشى / مرحًا

/// ◦/◦ /// ◦/// /// ◦/◦ /// ◦/// ◦///

حملت / يـده / شعل النـ / ـنصر وبدا / غده / أمل الـد / ـدهر

/// ◦ /// ◦/// /◦/ /// ◦/// /// ◦/◦

الأمر الذى يستقيم معه الإيقاع ويسعف على التغنى والإنشاد. ولا يختل توافق التفعيلة مع الكلمة إلا فى أربعة مواضع بنسبة الربع، ثلاثة منها مع مواضع الأسماء المعرفة بـ (ال) الشمسية، والتى يضعف معها الحرف التالى لأداة التعريف، فيبدأ الاسم فى سياق التركيب بساكن فمتحرك، وهو الأمر الذى يستحيل معه أن تبدأ إحدى تفاعيل العروض متوافقة مع دال معرف بها، وربما انتهى إليها لكنه لا يبدأ معها أبدًا. فهى جزء أخير تنتهى إليه التفعيلة أو تتوسطها، وليست جزءًا فاتحًا لها

بحال.

ويقع نص "وطنى" لحسين أحمد إسماعيل بالصف الثالث متوسطًا بين نصى : رضا محمد وأحمد مخيمر، وهو مما يناسب المرحلة، إذ يبدو أقرب إلى نص رضا محمد فى البساطة، لكنه يرتقى خطوة أبعد من الوجهة اللغوية، إذ ينحو إلى التركيب لا الإفراد بأعجاز الأبيات، وفى المقطع الأول من النشيد يعظم الشاعر وطنه، إذ هو محط قيم الحب والفن والعلم فيقول :

وطنى وطنى أرض الحب

وطن الفن وطن الكتبِ

وطنى وطنى وطن الشمسِ

ثم هو يشير بالمقطع الثالث إلى شدة بأس الشعب، وهى من المرات القليلة وربما النادرة التى يُشَاد فيها بالشعب، حين الحديث عن الوطن بشعر المدونة، فما الوطن والشعب (الأمة) إلا وجهان لعملة واحدة، لا تصلح إلا بهما معًا، كما يشيد بسلمية الشعب وتسامحه مع المسالمين، وذلك باستخدام التخييل البسيط القريب إلى واقع الطفل كما فى الصدرين الأولين؛ إذ يقول :

شعبى أسد ضد الظلمِ

وفراشاتٌ وقت السلمِ

وطنى وطنى وطن الشمسِ

ومن اللافت أن إنصافًا ما قد تملك القائمين على إعداد مقرر الصف الثانى فأشاروا على استحياء ومن طرف خفى إلى ثورة الخامس والعشرين من يناير كما فى نص أحمد عبدالجواد "أجمل يوم" وفى العنوان تعمية لا تخفى، لا تشير إلى الثورة فى شىء، وليس بالنص ما يشير إليها إلا فى عجزه الثالث "يوم السبت" لكن النص جميل، إذ يقرن بين الثورة والعزة، فيقول :

أجمل يوم فى أيامى

أذكر أنى كنت أغنى

فى مدرستى يوم السبت

عن ثورتنا عن عزتنا

وفى النشيد بآخرته قوة ونغم يسمحان بالإنشاد والتغنى شكلاً ومضمونًا بهذا الوطن، فمعانى النشيد صائبة، صحيحة، وموسيقاه واضحة قوية، يقول :

يا أوطانى بالأحضان

عشت قوية عشت أبية

عشت مثالاً الحريـــة

أما المعانى الصائبة فنتلمسها فى دلالات الدوال : قوية، أبية، الحرية، وجميعها قيم تنصرف إلى الأوطان، وبالتضعيف والتنوين تبدو الدوال الحاملة هى الأبرز من الوجهة الصوتية كذلك. وفى إيقاع الأبيات مظاهر موسيقية تعزز إمكانية الغناء والإنشاد، وبخلاف التكرار للدال عشت الذى يحتل مفاتح نصف الأشطر، فقد جاءت القافية أفقية فى حين، ورأسية فى حين آخر، وبدت فى حين ثالث ملتزمة ما لا يلزم كما فى الثلاثة الأبيات الأخيرة، فالقافية (الأفقية) بأولها ذات روى نونى مطلقة مردفة بالألف، وهى (رأسية) فى الأخيرين، تتركب من صوتين أولهما ياء مضعفة، تليها هاء ساكنة تناسب الإنشاد، إذ يتضح تمامًا الحرف المضعف المستغرق لجهد صوتى كبير، يؤول إلى سكت لسكون الهاء مما يسهم فى وضوح الدلالة وتعاظم الجانب الإنشادى.

ومن البين أن شعراء الصفوف الثلاثة الأولى هم فى الغالب، عدا "العظم وزرزور وهيكل" من الشعراء المعاصرين الذين ليست لهم شهرة شعراء الصفوف الثلاثة الأخيرة، وحديث هؤلاء عن الوطن أعمق؛ إذ قيلت أشعارهم لزمان يختلف طلابه عن تلاميذ اليوم، وقيلت فى سياق تاريخى مباين، ولذا فقد أحسن القائمون على الأمر حين خاطبوا الصفوف الأولى بخطاب شعراء العصر المتسم بالسهولة والبساطة.

وقد بدا تركز النصوص الوطنية بالفصل الأول (٧ : ٤) عنها بالفصل الثانى، وهو أمر يشى ربما بحرص القائمين على المختارات الشعرية على تعزيز الوطنية ابتداءً، وقد تردد النشيد الوطنى فى الصفين : الثانى والخامس "من دون الصفوف" بكلا الفصلين : الأول والثانى، ولم أجد لذلك تفسيرًا إلا أن يوافق ذلك رغبة القائمين على المختارات بالمدونة.

أما الأسرة فحضور الأبوين واضح بالمدونة فى مقابل اختفاء الحديث تمامًا عن الإخوة والأعمام والعمات والأخوال والخالات والأجداد كذلك، وهو أمر يعمل على تضييق الدائرة الحميمية للفرد، ويكرس ربما لقيمة الانزواء والأنانية والعزلة على حساب تضخيم الانتماء للأسرة الصغيرة، وتهميش الجانب الاجتماعى لدى الطفل، فتتضاءل قيمة صلة الرحم والإحسان إلى الجار، ومن المرجح فى ضوء هذا الواقع أن تتضاءل شيئًا فشيئًا اجتماعية الفرد وارتباطه بمجتمعه الأكبر.. وهو أمر يبدو متناقضًا مع تعاظم قيمة الوطن بالمدونة.

وينحصر الاهتمام بالوالدين فى المدونة بالصفين الأولين، وذلك مقبول استنادًا إلى أن الطفل لا يتطلع فى تلك المرحلة إلى قدوات خارج محيطه الأسرى، فالوالدان هما النموذج والقدوة، وبالصفين ثلاثة أناشيد، تتوزع بالسوية، قسمة عادلة بين الأبوين؛ فواحد للأم بالصف الأول، وبالثانى واحد للأب، والثالث مشترك بينهما، يقول سلمان حسن علام ٢/١ فى "نشيد أمى" :

أمى أمى أغلى الناسِ
تسكن دومًا فى إحساسى
هى تحمينى أمى أمى
وتغذينى أمى أمى

وتعلمنى حب الناسِ

أمى أمى أغلى الناسِ

والمعنى الرئيسى بالنشيد هو ما يبدو واضحًا فى المطلع المتكرر بالمقطع، والأم هى مصدر العطاء والحماية والهداية، وذلك فى عبارات سلسة مناسبة : هى تحمينى.. وتغذينى.. وتعلمنى، وتبدو قيمة الحب المبذول للناس كقيمة إيجابية واضحة هنا على ندرة تلمسها بالمدونة.

وباستثناء البيت الثانى البعيد عن احتمالية التصور الصحيح لمعناه لدى كل الأطفال يبدو النشيد من أجمل نصوص المختارات المناسبة للمرحلة.

أما نشيد الأب، فقد ورد بلا عنوان، وغير منسوب إلى شاعر، ويرجح أنه نظم بمعرفة أحد القائمين على المختارات، ففيه :

أبى يا طيب القلب ويا نورًا على قلبى

ويـا رمـزًا أقـلـده بكل الفخر والحـب

وبالنص تكريس لقيمة التقليد.. وهى قيمة سلبية معيبة، إلا فى مثل هذا السنِّ، على أن البيت الثانى أراه مما لا يناسب، ومما يغمض معناه على الطفل، كما هو الحال فى كلمة "رمزًا" بالبيت الثالث.

والنص فى جملته - إن صح حدسى فى كونه من نظم القائمين على اختيار شعر المدونة - انحياز للذكورة، قبل أن يكون مناسبًا لطفل المرحلة، أما النشيد المشترك فنص استماع مجهول القائل، وفيه :

أحب أبى لأن أبى

عطوف طيب القلبِ

وفى صحوى وفى نومى

أغنى عشت يا أمى

وتحكى لى معلمتى

فيحلو دائمًا قلبى

وبالنص إشارة إلى مصادر التلقى الأولية للطفل، التى تمثل له نبع العطاء؛ رعاية وحبًا وتعليمًا، وفيه إشادة بالمعلمة، وتنويه بدور القصة فى التربية والتعليم فى المرحلة الباكرة، غير أن مقطع الأم بالنشيد لو استبدل ببيته الأول قولنا : وفـى حِلِّـى وتِرحالـــى.

لكان أفضل، فإلى كون الوزن مستقيمًا مع البيتين، إذ زنة كليهما : "مفاعيلن مفاعيلن" فإن كليهما يشير إلى شمول التغنى بالأم، ولئن اختلف معيار الشمول، إذ هو مكانى هنا، وزمانى أو حالى هناك "الصحو والنوم" غير أن المعنى ببيت الشاعر يلتبس فهمه على الطفل، إذ كيف سيغنى

فى نومه؟ أفى الحلم؟ وماذا يفيد الأم أن يتغنى طفلها بها فيه؟ وبالبيت المستبدَلِ دعوةٌ للسفر والارتحال، وفيهما مزيد من علم وخبرة، ولو أمكن استبدال (فيهدى) بالدال (فيحلو) لكان المعنى أدق، فبفعل الهداية تعزيز لقيمة الإيمان، وإشارة إلى ضرورة أن يكون الحكى / القصة / السرد / فى أروقة المؤسسات التعليمية هادفًا وممتعًا فى آن، وليس ماتعًا فحسب.

وبالمدونة نصان "كلاهما بالصف السادس" يعزز أحدهما قيمة الإنسانية والآخر قيمة تواصل الأجيال. أما الإنسانية ففى نص عيسى الناعورى "أخى الإنسان" ١/٦ توسيع لدائرة التواصل الإنسانى، وفيه يبدو التسامح قيمة إنسانية حضارية.. ضرورية، لا غناء للإنسان عنها، يقول :

أخى فى العالم الواسع فى المغرب والمشرق

أخى الأبيض والأسود، فى جوهرك المطلق

أمد يدى فصافحها تجد قلبى بها يخفق

بحبك يا أخى الإنسان

وبالمقطع معان سامية لا ترتكز إلا على القيم الأخلاقية والحضارية، بعيدًا عن الإيمان والدين، لكنها مقبولة من فلسطينى "أردنى" لاقى بالضرورة صعوبات جمة فى حله وترحاله، ومن ثم فخطابه للآخرين من منطلق إنسانى، ربما كان مبررًا بشكل أو بآخر، لكن بالمقطع ملاحظ ثلاثة؛ الأول يتعلق بغموض المعنى فى قوله : "جوهرك المطلق" والثانى يتصل بتدوير البيتين الأوليين "الكلمة الواحدة تتنوع على شطرى البيت، كما فى الواسع والأسود" وهو ما يسبب صعوبة فى التغنى والإنشاد، ويحتاج إلى ذائقة موسيقية تكفى للاهتداء إلى مواضع الوقف والوصل بالبيت، وهو ما لا يتهيأ بسهولة للأطفال.

والثالث يتصل بالقافية المقيدة، التى لا تتفق والتغنى بالنشيد، فهى أشبه بالسكتة خاصة مع صوت القاف الانفجارى الذى يتطلب جهدًا صوتيًا قلما يتوفر للطالب مع نهاية البيت، وقد يسعف على توفر هذا الجهد مجزوئية وزن الوافر.

أما المقطع الثانى بالنشيد فأفضل من الوجهة الدلالية والموسيقية، وتتلاشى فيه على نحو لافت كل مثالب الأول، فالقافية أولاً مطلقة مردفة نونية الروى، وهو الصوت الأكثر ترددًا بالمقطع، ويعود مرجعه فى أكثر الأحيان إلى ضمير الجمع الذى يتشارك فيه الشاعر مع الآخر، فتتماهى الفروق الفاصلة بين الذوات وتؤول إلى اتحاد ومشاركة ومساواة، ويستوى فى ذلك أن يتردد النون مع الأفعال "جئنا، لنعيش، نسعد، شئنا [٦] أحلنا" أو يتردد مع الأسماء "إخوانًا، أعوانًا، دنيانا" [٧]

يقول الناعورى بالمقطع الثانى :

لقد جئنا إلى الدنيا معًا لنعيش إخوانًا

ونسعد بالحيـاة معًا أحبــاءً وأعــوانًـا

ولو شئنا أحلنا جنـة الفردوس دنيانــا

فهيا يا أخى الإنسان

أما نص حاج أحمد الطيب، فيعزز قيمة التواصل بين جيلى الشباب والقادة أو من يسميهم النخبة، وفيه تقدير لفعل الشباب إذ يقول :

أبنــاؤنا فاقـوا الكبــار تألقًــا حارت به الأفهام والألباب

لن يتركوا كأسًا يمر بغيرهم مهما يكن الأمر والأسباب

نلقى الذى يبغى المودة مخلصًا رغم الجفاء شعارنا الترحاب

وفيه يتمنى الشاعر للشباب مستقبلاً مشرقًا ومسيرة ناهضة زاهرة، جديرة بالإعجاب، فيقول:

نرجو لكوكبة الشباب مسيرة من أجلها يتواتر الإعجاب

تمضى طلائع ركبنا ويقودها للنصر دومًا.. نخبة وشباب

وقيمة التواصل والحوار هامة، وإثباتها بالمدونة يستحق الثناء والإشادة، خاصة أن الشاعرين صاحبى النصين عربيين، فلما لم يجد القائمون على اختيارات المدونة مصريًا يسد الثلمة فى بناء المنهج عمدوا إلى الشاعرين، فنعما صنعوا.

أما قيمة "العمل" فلم يطرقها الشعراء إلا مرة يتيمة بالصف الأول مشفوعة بتعظيم قيمة الراحة بعد العمل على نحو تبدو الراحة معه هى الغاية من العمل وإهمال قيمة العمل على هذا النحو خطر ربما كَرَّس لحالة البطالة بشكل غير مباشر، خاصة فى ضوء اختفاء الأناشيد على ألسنة أصحاب الحرف تمامًا من المدونة. ونشيد "زرزور" المعنون بـ "العمل" ٢/١ فيه :

هيا استرح يا جملى

بعد انتهاء العـمل

صبرت طول اليوم

فاشرب وكل وابتسم

هيا استرح يا جملى

فقيمة "الراحة" من الوجهة الكمية على الأقل أكثر تمثلاً بالنص من قيمة العمل، إذ تتردد "استرح" مرتين، والعمل مرة وحيدة، والمكافآت على العمل الوحيد، متنوعة : فاشرب، وكل، وابتسم.

وتوحى كلمة "صبرت" بالتأفف والضيق بالعمل، فهو كالمصيبة لا حيلة فى دفعها إلا بالصبر عليها.

ويبدو التأكيد على قيمة العلم بالمدونة واضحًا وكأنه بديل عن العمل مع أنهما ليسا مما يستغنى بأحدهما عن الآخر، فكلاهما ضرورى للشخصية المتكاملة، وللنهضة الشاملة على سواء، وبالمدونة أناشيد ثلاثة تتردد لتعزيز قيمة العلم وهى : هيا نقرأ ٢/٢ بحر العلوم ٢/٣ طريق المعالى ١/٥ والنصوص جد مختلفة فى المنحى الأسلوبى والموضوع الخاص، وأفضلها فى ضوء

خصائص النمو، نص الصف الثانى "هيا نقرأ" وفيه يقول أحمد إسماعيل :

ألف باء تاء ثاء

هيا نقرأ يا شيماء

ألف أبنى باء بلدى

تاء تعلو نحو المجد

هذى بلدى أرض الكرم

وطنى وطنى فوق القمم

وللعلم بالنشيد غاية واضحة هى بناء الوطن، وما فى ذلك من حرج، لكن للعلم مقاصد أخرى تتقدم هذه الغاية، منها : أنه غاية فى ذاته مصداقًا لقوله تعالى "اقرأ" (العلق آية ١)، ولقوله(ص) "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة" (٨) ومنها أنه طريق التعرف على الله تعالى : " فاعلم أنه لا إله إلا الله" (سورة محمد الآية ١٩).

أما نص الصف الثالث "بحر العلوم" لحسين أحمد إسماعيل فيعرف بواحد من أهم منجزات العصر الحديث العلمية وهو "الكمبيوتر" وهو الإشارة اليتيمة للحاسوب بالمدونة، وبالنص تعريف بجوانب الجهاز ترى فيها "شائق" و"نفعًا" و"نافعة"، يقول الشاعر :

فِى الكُمْبيُـوتَرِ الأَمَل

وشَائِقٌ فَلا... مَلَلْ

بِهِ سَنُنْجِزُ العملْ

ونَرْتَقِى مَعَ الدُّولْ

فِيهِ بِحَارٌ للعُلُومْ

والعِلْمُ فِى الدُّنْيَا يَـدُومْ

إنْ كُنْت فِى وقْتٍ مَعَهْ

تَجِدْ فُنُـونًا... نَافِعَةْ

أما نص الصف الخامس فوعظى خطابى مباشر، أراه غير مناسب لطابع الحياة المتسارع، وقد قيل النص لزمان غير الزمان منذ ما يقرب من قرن، يقول فيه الشاعر :

إن كنت تبغى المعالى فالعلم أهدى سبيـلاً

واظـب عليـه مجـدًا واطلبه دهرًا طويلاً

كن بالعلـوم ولوعًـا ترق المقام الجليـلا

واتعـب النفس فيـها تلق الجزاء الجميلا

العلـــم للمـــجد باب يا من يروم الدخولا

والحـرللمجد يسعى ويسهر الليل طولا

لولا العلا ما سهرنا بالجد ليلاً طـويلا

والنشيد الدينى يأتى فى المدونة بعد الوطنى والأسرى فى مرتبة متوسطة ويتحرك فى منطقة وسطى كذلك، إذ يتردد بالصفوف الثانى والرابع والخامس ويختفى تمامًا من بداية الحلقة ونهايتها ووسطها، ويتردد النشيد الدينى ست مرات، اثنتان منها فى مقرر التربية الإسلامية هما : الشجرة ٢/١، طلع البدر علينا ٢/٢ وأربعة بمقرر اللغة العربية هى :

الله القدير ٢/١، يا ربنا سبحانك ٢/٢، أهلاً أهلاً يا رمضان ٢/٤، ربنا الله ٢/٥. وفى نشيد الشجرة يقول الشاعر :

انظـــر لتـــلك الشـــــجرة ذات الغصون النضـرة

كيـف نمـــت من حبـــــةوكيف صارت شجرة؟

فابحث وقل : من ذا الذى يخرج منهـا الثمـرة؟

ذاك هـــــو الله الـــذى أنعمـــــه منهمـــــرة

ذو حكمـــــة بالغـــــة وقـــــدرة مقتـــدرة

وبالنص مباشرية تناسب تلاميذ الصف الثانى، وفيه دعوة للتأمل، وتعزيز للتوحيد والإيمان بالله الخالق.. الرازق.. المنعم.. الحكيم.. القادر فى ألفاظ سهلة موفقة، تشفع للمباشرية المتجسدة بالنص. أما نشيد "الله القدير" ليوسف العظم فمما يناسب المرحلة ، وفيه يقول :

أشرق الصبح على الدنيا سناه

وسقى الروض رحيقًا من نداه

الندى مِنْ فيض مَنْ؟

والضحى مِن نور مَن؟

إنه الله القدير

والكلمتان "سناه، فيض" على غرابتهما عن معجم الطفل، فإنه يمكنه الاهتداء إلى معنييهما بالتخمين والحدس الفطرى السليم والتوقع.

أما نص "يا رب سبحانك" فأجمل النصوص الدينية بالمدونة – فى رأيى – إذ يستوفى خصائص النشيد الجيد، فهو يراعى خصائص المرحلة العمرية التى من ملامحها التعرف إلى الذات، وهو بسيط الأسلوب، سهل الألفاظ، فيه إيقاع موسيقى هادئ، لكنه واضح، بخاصة فى

الأبيات ٣، ٤، ٥ نونية الروى المردفة بالواو والياء والألف على التوالى، مما يسهم فى وضوح الدلالة أيضًا، ومقطعه منسجم موسيقيًا، ينقسم على أربعة أقسام كل قسيم يوافق تمامًا تفعيلة رجز (مستفعلن).. يقول أحمد عمر :

يا خالق الكـون لخدمة الإنسان

أعطيته النـــعم من ساحة الكرم

وهبته العيـــون وفوقها الجفون

والوجه والخدين والأنف والأذنين

وقـــوة البنيـــان والفم والأسنان

يا ربنا ســبحانك وهبتنا إحسانك

أما نشيد "أهلاً يا رمضان" فعلى جماله الذى لا يُنْكر، فإن اختزال الحديث عن العبادة فى المدونة فى هذا النشيد فحسب، ربما هيأ الأطفال على نحو غير مباشر باقتصار العبادة على رمضان وحده، وهى حالة تعانى منها الأمة بالفعل، والأولى أن يُعْرض لمفهوم العبادة على نحو أكثر شمولاً وعمقًا بنصٍّ شعرى يضاف إلى جوار هذا النشيد... يقول رفعت المرصفى عن رمضان "شهر الطاعات" صوم وصلاة وزكاة وجهاد واعتكاف" :

يا شـهرًا فى العام الواحـد فيك نصوم وفيك نجاهد

ونعمر فى الأرض مساجد وننفـذ أمـــر الرحمـــن

فيك صـــيام فيك صـــلاة وكذلك للصـــوم زكـــاة

ولينقبل منا الله

وحبذا لو غُيِّر الصدر الأول ليصبح "يا شهرًا أوحد فى العام" فهو الأجمل والأدق، فتعبير الشاعر وقد دفعه إليه غرضٌ موسيقى فيما يبدو "كأنه يستكثر شهر رمضان ويستطيله.. ضجرًا به.. هكذا تفيد الصياغة الواردة، ودلالتها من غير شك ليست مراده.

ومجمل القول : إن شعر المدونة كان وفيًا لغاياته التربوية إجمالاً، وتحتل قيم الوطن والأسرة والعلم سلم أولوياته، وتتسم أشعار تلك القيم بالبساطة والإيقاع السلس المنغم الذى يسهل معه التغنى بها.

ثانيًا : بساطة الفكرة ووضوحها وتناولها للمعانى الحسية :

فى كل الأحوال يجب أن يكون شعر الأطفال وبخاصة النشيد بعيدًا تمامًا عن الفلسفة والمسائل المركبة أو المربكة، فهو نوع أدبى يرتبط لطبيعته بالمرح والخفة، ولذا فالأولى أن يتصل بحياة الطفل ومحيطه الذى يهمه، وعلى ذلك فأجدر بشعر الأطفال خاصة فى المرحلة الأولى من التعليم الأساسى "مرحلة الطفولة المبكرة والمتوسطة تقريبًا" أن يكون ميسور الفهم للطفل، إذ يتحدث مثلاً

عن قصة يسهل استيعاب أحداثها وتخيل شخوصها والاهتداء لمغزاها التعليمى أو التربوى، أو يتحدث عن مزحة طريفة أو مناسبة قومية أو وطنية أو دينية كما مر بنشيد (أهلاً يا رمضان) أو يُعْنى بتبيان خصوصيات الحرفيين كعامل المطافئ أو المسعف أو جامع القمامة أو السائق أو الفلاح أو الصياد أو الطبيب أو المهندس أو المعلم، وأن يتحدث عن بيئة الطفل الريفية أو الحضرية. كما يحسن فى هذا الإطار الحديث عن الحيوانات الأليفة.

ودلائل البساطة والوضوح بشعر المدونة عديدة[٩]، فكثيرة هى النصوص التى تعنى بالتعريف بعناصر بيئة الطفل؛ طيرًا ونباتًا وحيوانًا وحشرات، وفيها حديث عن أصحاب المهن، والريف، وتتنوع النصوص بين القصة الشعرية الخرافية "المتخيلة" على لسان الحيوان، وبين النشيد الغنائى ويتكرر الحديث عن العصفور دون سائر عناصر البيئة الطفلية مرتين فى الصفين الثانى والثالث، فى الأول يقول الشاعر محمد يوسف المحجوب :

غـرد غـرد يا عصفورى

غـرد والعب فى البســتان

غـرد غـرد يا عصفورى

غرد واصدح بالألحـــــان

فالعصفور من أرق الطيور وأقربها إلى نفوس الأطفال، وفكرة النشيد بسيطة، تدعو إلى الغناء والمرح. وفى الثانى يحكى الشاعر حسين أحمد إسماعيل عن يوم من "حياة عصفورة" ٢/٣ فيقول :

عصفورة الحقول فى يومـها الجديد

بصـوتها الجميل تــردد النشـــيد

فيضحك الصباح لصوتها الطروب

وتبـــدأ الكفـــاح وتجمـــع الحبوب

تعود فى المسـاء لحفلـــة الســـمر

بفرحـــة اللقـــاء يغـــرد الشـــجر

فتحكـــى قصـــة عن رحلة النـــهار

وتـــرى طرفـــة فيفرح الصـــغار

والنشيد يمثل نواة قصة شعرية بسيطة، فيها بيان لأهمية دفء المشاعر فى الأسرة، وكفاح العمل والمجاهدة فى طلب الرزق، والتوازن فى الحياة بين الجد والمرح، وبه إشادة... بتعب الوالدين من أجل الأبناء من طرف خفى. وعلى النحو ذاته "قصة شعرية متخيلة" [١٠] يرد نص (إنى رأيت

نملة) ٢/٤ وهى قصة تبرز قيمة "التعاون" وربما التحدى فى سبيل الوصول إلى تحقيق الأمل، وفيها يقول الشاعر المصرى إيهاب عبدالسلام :

إنــى رأيـــت نملـــةً فى حيرةٍ بين الجبال
لم تستطع حمل الطعام وحدها فوق الرمــال
نادت على أخــتٍ لهــا تعينها فالحمــل مــال
لـــم تســتطيعا حملـــه تذكـــرا قولاً يقـــال
تعاونــوا جميعكــم فالخير يأتى بالوصال
نادت على إخوانها جاءوا جميعًا بالحبال
جـروا معًا طعامهم لم يعرفوا شيئًا محال

وبالمدونة حديث عن الزهور فى دعوة مباشرة لحماية البيئة والإحساس بالجمال، يدعو فيه الشاعر حسين أحمد إسماعيل الأطفال (ألا تقطف الزهور) ١/٣ فيقول :

لا تقطف الزهــور بوجهها الصبوح
كى تصنع العطور وعطرها يفــوح
تنــام فى المســاء غــذاؤها الأمــل
تقوم فى الصبــاح وتبــدأ العمـــل

وتحظى البيئة الريفية بنص شعرى هو الوحيد الحر بالمدونة للشاعر السورى بيان الصفدى، وهو يأتى فى إطار أشبه بالحكائى، إذ يسرد قصة طفلة تدعى "نور" تهوى الرسم، فترسم عناصر من الريف على نحو يتصل بعنوان النص : "ما أحلى أجواء القرية" ١/٤ أروع اتصال ففيه يقول الشاعر :

رَسَمَتْ نورْ
شَمسًا تَضْحَكُ فوق الدُّورْ
طِفلاً يُهْدى طِفلاً وَرْدَةً
رَسَمَتْ نورْ
دِيكًا يَرْكُضُ فَوْقَ السُّورْ
وعلى آنِيةٍ عُصْفُورْ
رَسَمَتْ نورْ

دار الكتب والوثائق القومية

فَلاَّحًا يمشِى فى السَّاحَةً

عنزًا تَتْبَع فَلاَّحَةً

ما أحْلى أجْواءَ القَرْيَةً

فى أعماقِى تَبْقَى حَيَّة

ومع أن النص من الشعر الحر، فموسيقاه واضحة، إذ حرص الشاعر على الوفاء بحق النهايات إيقاعيًا، فتردد الراء وقبله الواو لأكثر من ستة أسطر"أى أكثر من نصف النص" ساعد على ذلك الدال "نور" المتكرر بنهاية نصف هذه الأسطر، فهو اسم الشخصية الرئيسية بالنص، هذا بخلاف الروى المتعاقب فى السطرين الأخيرين (ية) وقبلهما مباشرة سطران ينتهيان بالنهاية (حة).

والنص عامر بمفردات القرية (الدور، الديك، السور، الآنية، العصفور، فلاحًا وفلاحة، الساحة، عنزًا) ومع مجافاة قول الشاعر (طفلاً يهدى طفلاً وردة) لواقع الريف إجمالاً، فلربما شفع لها حكايتها عن رسوم طفلة تتمنى لو كان هذا واقعًا، والصورة الشمسية بالبيت الثانى "شمسًا تضحك" مما يسهل استيعابها.

ومن أناشيد أصحاب المهن يرد نص وحيد هو : (أحب أن أكون) لأحمد سويلم ٢/٤ وهو يحكى عن مهنتى : المهندس والمحرر الصحفى، والفكرة بالنص واضحة بسيطة وفيها يقول الشاعر :

أحب أن أكون مهندسًا أمين

أخطط البيوت بالعلم والفنون

وأرسم الشوارع للناس العابرين

أحب أن أكون محررًا أرب

أكتب فى السياسة أو أكتب الأدب

الصدق فى حديثى أغلى من الذهب

وفى نص "كن قويًا" لمحمود غنيم ١/٦ [١١] يتجلى الحفاظ على الصحة قيمة إيجابية تنفع صاحبها وتفيد وطنه، وفيه دعوة إلى عدم استخدام القوة فى العدوان بل جعلها رحمة للعالمين فى غمزٍ مفهومٍ لذوى القوى الكبرى العالمية.. يقول :

يا شباب العلم فى الوادى الأمين أشرق الصبح فهزوا النائمين

مصر ترجو منكم جيلاً فتيا سالم البنية مقدامًا قويًا

لا ظعيفًا خائر العزم عييًا كتب الذل على المستضعفين

إنما الصحة عنوان الحياة فانشروها نضرةً فوق الجباه

وارسموها بسمةً فوق الشفاه وابعثوها رحمةً للعالمين

ثالثًا : ارتباط الشعر بالمعجم اللغوى للطفل :

يعتمد الشعر المقدم للطفل على رصيد الطفل اللغوى الذى يستخدمه فى شئونه الخاصة وحياته اليومية، وحتى يستهوى الشعر الطفل يستحسن ألا تزيد الكلمات التى يجهلها الطفل أو ليست من معجمه اللغوى عن كلمة واحدة فى كل بيت (حتى لا تضيف هذه الكلمات صعوبة الأداء اللغوى إلى الصعـوبات الأخرى التى ينطوى عليها إدراك معانى المادة الشـعرية وفهمها)[١٢]

والحق أن الاحتكام إلى هذا المعيار يقرر أن شعر المدونة ليس غريبًا فى مجمله عن المعجم اللغوى للطفل، وتبدو المشكلة فحسب ناتجة عن إسناد ألفاظ إلى غيرها، بطريقة يبدو معها فهم الطفل للمعنى مشكوكًا فيه، كما هـو الحال فى قـول أحمد إسماعيل بنصه الوطنى (نحن لها فداء) ١/٢

هـواؤهـا شفـاء ومـاؤها دواء

فالهواء والماء والشفاء والدواء، جميعها كألفاظ هى من معجم الطفل اللغوى، لكن الإسناد النحوى الوارد يسهم فى تعقيد المعنى، وتلغيم طريق الطفل إلى فهمه، فالمسافة الدلالية الفاصلة بين شفاء وهواؤها "وبالمثل فى العجز" تحول دون التعرف على معنى الشاعر المراد لبعد الصورة عن إدراك الطفل. ومثله قول حسين أحمد إسماعيل فى (بحر العلوم) ٢/٣ عن الكمبيوتر :

"فيه بحار للعلوم" على سبيل الاستعارة.

ومنه قوله أيضًا فى "لا تقطف الزهور" عن الزهرة :

فتشـرب الميـاه والحـب والضيـاء

فالطفل سيعى كيف تشرب الزهرة الماء، لكنه سيقف حائرًا جاهلاً لحقيقة شرب الزهرة للحب والضياء!

ومن ذلك قول إيهاب عبدالسلام فى نص : "يا قمرى الجميل" ٢/٤

انـزل يـا قمـر

نلعبُ تحت الشجر

وتمـلأُ النـهرْ

أنـوارُكَ البهيَّـةْ

زوارقَ فضـيَّةْ

ففوق ما بالنص من خلل إيقاعى، يتأتى من ارتكاب الشاعر تجاوزات أو ضرورات شعرية تخل بأصول النحو العربى وعروض الشعر، كما فى رفع نلعب وحقها الجزم فى جواب الطلب، ففيه تعابير يصعب على طفل الصف الرابع التعرف على معناها، من مثل : أنوارك البهية، زوارق

فضية. هذا فضلاً عما بالأبيات من تقديم للمفعول (النهر) على فاعله : (أنوارك البهية) الذى يفصل بين مفعولى الفعل : (النهر، زوارق..) على نحو يتلبس معه المعنى أكثر، وأصل التركيب المعيارى :

تملأ أنوارُك البهية "القمر" النهرَ زوارقَ فضية.

رابعًا : ارتباط الشعر بالفكاهة والبهجة والمتعة والسرور المملوء بالحيوية :

من المتفق عليه أن من أهم أسباب إقبال الأطفال على الشعر، واستمتاعهم به أنه يضفى على أوقاتهم نوعًا من المرح والفكاهة، ويرتبط بألعابهم أو رحلاتهم أو مخيماتهم، فهو من دواعى سرورهم أو سعادتهم وبحسب الإحصاء فإن بالمدونة قليلاً من شعر البهجة والسرور..

وبشىء من التجوز يمكن النظر إلى أربعة نصوص على الأكثر (أى بنسبة العشر) هى وحدها ما يتصل بشىء من الفكاهة والبهجة، وهى :

غرد يا عصفورى ١/٢ هيا للنشاط ١/٣

يا قمرى الجميل ٢/٤ التسامح والسلام ١/٥

وفى نشيد "هيا للنشاط" نلمس السرور والبهجة فى قول الشاعر :

هيا هيا هيا هيا هيا هيا

هيا للألعاب هيا للحرية

هيا هيا هيا يا فصل الأحلام

هيا للموسيقى هيا للأنغام

هيا يا أصحابى هيا للمستقبل

نحن الأمل المشرق نحن الجيل الأجمل

وبشىء من التساهل يمكننا اعتبار نص "التسامح والسلام" متسمًا بالمرح، نعم يطفئ وهج هذا المرح بيتا النهاية الوعظيان، لكن به مرحًا على أية حال، يقول أحمد الكاشف :

فى وسط قنطرة تلاقت ذات يوم نعجتان

بالكبرياء شهيرتان غليظتان عنيدتان

إحداهما نظرت إلى الأخرى بعين الامتهان

ودنت تصيح الآن لى أخلى الطريق بلا توانى

فأجابت الأخرى بكبر لست أبرح عن مكانى

واشتد بينهما اللجاج فهاجتا تتدافعان

حتى هوت فى لجة اليم الخضم الاثنتان

ويلاه من عقبى التناهى فى الشراسة والتفانى

إن السلامة والكرامة فى التسامح والليان

خامسًا : تنمية خيال الأطفال وإيقاظ مشاعرهم وإحساسهم بالجمال :

بالمدونة ثلاثة نصوص تحقق هذا الضابط على نحو متباين، ففى نص "الشجرة" ١/٢ إيقاظ وتوجيه لوجدانات الأطفال نحو قدرة الله، وفيه دعوة إلى التأمل، وإطلاق عنان العقل للخيال والتصور، يقول الشاعر :

انظر لتلك الشـــــجرة ذات الغصون النضرة

كيف نمت من حبة وكيف صارت شجرة؟

فابحث وقل : من ذا الذى يخرج منها الثمرة؟

وأفضل ما يمثل هذا الضابط نص "حياة عصفورة" وفيه يقول الشاعر :

عصفورة الحقول فى يومها الجديد

بصوتها الجميل تردد النشـــــيد

تعود فى المساء لحفلة الســـمر

بفرحة اللقـــاء يغرد الشـــجر

فتحكى قصـــة عن رحلة النهار

وتروى طرفـة فيفرح الصغار(١٣)

ومع أن الخيال من أهم عناصر الشعر بعامة، وهو ما يميزه مع الإيقاع عن الوعظ والخطابية، فإن أغلب نصوص المدونة بدا خيالها مجنحًا جامحًا فوق إدراك وعى الأطفال، أو ضعيفًا باهتًا لا يسعف على إثارة خيال الأطفال، فبدت أغلب نماذج المدونة أقرب إلى النظم منها إلى روح الشعر وجوهره.

سادسًا : الإيقاع الشعرى المتكرر فى شعر الأطفال :

الإيقاع الجيد هو سمة الشعر الخالد، وطرب الأطفال للشعر يتحقق بالمقام الأول لموسيقاه،

ورغبة الأطفال فى التغنى بشعرهم رغبة ملحة تكاد تكون ضرورة ولن يكون ذلك إلا بالإيقاع الجيد المتكرر، والشعراء يدركون تلك الرغبة، وهم لذلك يعتمدون على التكرار كثيرًا بحيث يبدو سمة النص الرئيسية والمهيمنة، ذلك ما نجده فى (غرد يا عصفورى) :

غرد غرد يا عصفورى

غرد والعب فى البستان

غرد غرد يا عصفورى

غرد واصدح بالألحان

إذ يتناوب المطلع مع أبيات النص، فيتخلل الثانى والمقطع، فضلاً عن التكرار الرأسى الفاتح، إذ يتردد الفعل (غرد) فى بداية كل بيت (١٤) والإيقاع متكرر بالنص، يسعف على التغنى والإنشاد، ومثله تكرير "بيان الصفدى" للسطر الشعرى "رسمت نور" ثلاث مرات فى نصه "ما أحلى أجواء القرية" انطلق فى كل مرة منها إلى مشهد آخر، إذ يؤسس العنصر المكرر لجانب مختلف من جوانب الصورة. وقد يكون التكرار تكرار تركيب، يعتمد على مراعاة تماثل الوحدات التركيبية من الوجهة الصرفية فى بيتين متوالين كما فى قول يوسف العظم فى "الله القدير" ١/٢

الندى من فيض من؟

والضحى من نور من؟

إنه الله القدير

"فالندى" يقابل "الضحى"، و"فيض" يقابل "نور"، والجار "من" والضمير "من" يتكرران نفساهما فى البيتين بحيث ظهرا كقطعة إيقاعية منسجمة تشبه المناجاة والابتهال، وفى الختام المختلف ما يبرز جمال البيتين.

ومثله فى ذلك الصدران فى قول حسين أحمد إسماعيل :

فتحكى قصة عن رحلة النهار

وتروى طرفة فيضحك الصغار

وقد يعمد الشاعر إلى تقفية الأشطر لا الأبيات على نحو رأسى، فتتفق نهايات الصدرين على روى بعينه، فى مقابل اتفاق العجزين على روى آخر، فى تنويع موسيقى يؤكد - مادام غير مفتعل- قدرة الشاعر الإيقاعية وإدراكه العالى لجوهر الشعر وخصوصية المتلقى، ذلك ما نلمسه فى (حياة عصفورة) وفيه يقول الشاعر :

عصفورة الحقول فى يومها الجـديد

بصـوتها الجميل تـــردد النشـــــيد

فيضحك الصباح لصوتها الطروب

وتبـدأ الكفـــاح وتجمــع الحبوب

سابعًا : تنويع شعر الأطفال ليكون منه الشعر الغنائى والتمثيلى والإيهامى والقصصى والوصفى والحماسى وأن يشتمل على المسرحية والألغاز :

وقد بدا واضحًا غلبة النشيد على شعر المدونة، إذ يتردد أربعًا وعشرين مرة، يليه نصوص شعرية ليست نشيدًا ولا قصة شعرية فى اثنتى عشرة مرة، وأخيرًا ترد القصة الشعرية فى أربعة نصوص فقط.

وليس للمسرحية الشعرية أو الألغاز والأحاجى أى وجود بالمدونة وعلى أهمية النشيد وجمالياته التى تجعله أقرب ألوان الشعر لأطفال المرحلة، فإن تعريف الطفل "وإن بغير نسب تردد النشيد بل بنسب أقل" بالمسرحية والألغاز هام كذلك، إذ ربما أظهرت تلك الأنواع الشعرية المهملة بالمدونة لدى بعض الأطفال "حال وجودها" مواهب مستكنة أو قدرات كامنة تنتظر من يتعهدها ويرعاها، فضلاً عن إسهامها فى تنمة الذكاء وتقنيات الحوار، وإذكاء روح المنافسة "الألغاز" بين الأطفال، أو المشاركة "المسرحية" وهى تعنى بتنمية جوانب شخصية للطفل لا يعززها النشيد، من مثل إعمال العقل والتعرف على واقع الحياة المتنوع فى شخصيات المسرحية المتصارعة وغير ذلك.

ثامنًا : ارتباط النصوص الشعرية بأهداف أدب الأطفال :

إن الشعر المقدم للأطفال يجب أن يعمل على تحقيق الأهداف المرجوة منه والتى وضعت له سلفًا.. بحيث يفى بحاجات الأطفال النفسية ويشبع ميولهم الأدبية ويضفى علي حياتهم شيئًا من المرح والسرور، وباستثناء نشيد "هيا للنشاط" المرح بوضوح لا نجد إلا القليل من الأناشيد مما يتصل بالمرح فى المدونة.. وفيه يقول حسين أحمد إسماعيل.

هيـا هيـا هيـا هيـا هيـا هيـا

هيـــا للألعـاب هيـــا للحـرية

هيـا هيـا هيـا يا فصل الأحلام

هيـا للموسيقى هيـا للأنغـــام

هيا يا أصحابى هيـا للمسـتقبل

ومن الواضح أن الهدف التعليمى هو أول ما يراعيه القائمون على اختيار شعر الأطفال بمناهج

التعليم فى مصر، إذ يُعْنَوْن فى المقام الأول بالجانب اللغوى، وبطريقة التعرف على مواطن الجمال وليس الإحساس بالجمال فى الشعـر.. وربما عمَّق المأساة فى هذا الأمر شكلُ تدريس الشعر بالفصول الدراسية فربما كرَّه المدرسُ الأطفالَ فى الشعر من طريقة تدريسه له. وأرانى هنا متفـقًا مع ما ذهب إليه المهدى البدرى حين قال "إن المادة الأدبية المقدمة للتلامـيذ لا تعمل على تنمية إحساسهم بالجمال أو تذوقهم للفن والأدب كما لا تشتمل على ما يشجع التلاميذ على الحركة والنشاط وممـارسة الرياضة المفيدة، بالإضافة إلى أنها لا تبعث البهجة والسرور أو المتعة فى نفس التلاميذ".

وليس فى المدونة ما يتصل بشعر أرباب الحرف إلا نص أحمد سويلم عن المهندس والمحرر الصحفى، وبخلاف ذلك فشعر المدونة لا يمس قيم الشورى أو الديمقراطية مثلاً إلا مسًا خفيفًا لا يكفى لتأصيل تلك القيم الحضارية فى وجدان التلميذ.

تاسعًا : مدى ارتباط الموضوع الشعرى بالمجالات القرائية المتضمنة فى كتب القراءة :

بدا من تأخر مكان النص الشعرى فى المدونة بكل الصفوف، ارتباط النص الشعرى بالمجالات القرائية السابقة فى أكثر الأحيان وهو أمر محمود، فقد صمم المنهج بكل فصل على وحدات تعليمية فى كل وحدة ثلاثـة دروس على الأقل، وفى منهج الصف الخامس فى فصله الثانى نموذج لما يمكن أن يكـون مثالاً لاتصال النص الشعرى بالمجالات القرائية السابقة عليه بالوحدة التعليمية، أما النص الشعرى؛ فلأحمد محرم وهو الدرس الخامس بعنوان "نحب مصر" وفيه يقول :

مصر لنا منذ القـدم رمز الجلال والعظم

مصر انهضى يحيا العلم

أم العلوم والفنـون ساد بنـــوها الأولون

ومثلما كانوا نكون إنا عليها قائمـــــون

نرعى العهود والذمـــم

فيسبقه أربعة دروس هي على الترتيب

١- طريق السلام "قرآن كريم". ٢- صلاح الدين الأيوبى.

٣- ملك حفنى ناصف. ٤- نجيب محفوظ.

وفى ترتيب الدروس تقديم للسلام على الحرب، وللوئام على القطيعة، حينما يتقدم القرآن بآيات البقرة "٢٠٧ - ٢٠٩" ومع ما فى تأويل السلم بالسلام من أحادية تفسير؛ إذ يفسرها بعض المفسرين بالإسلام وليس السلام، وهو الأمر الذى يستقيم مع النهى التالى "ولا تتبعوا خطوات الشيطان" إلا أن الجميع وفى جميع الأحوال مع السلام العادل الذى يرضى الله ويرضى عنه الله.. أما صلاح

الدين فرمز الجهاد والقوة والتاريخ المجيد، وفى ثنائية ملك حفنى ونجيب محفوظ إشارة لتكاتف المـــرأة المصرية والرجل فى النهوض بالوطن ثقافيًا وإبداعيًا، وفى درس محفوظ ما يشير إلى عالمية الأدب المصرى، بما يقرر عالمية الحضارة المصرية قديمًا وعالمية الأدب المصرى حديثًا، فكما أن ماضينا الحضارى مشرق فإن حاضرنا الأدبى عالمى.

وربما بدت قطيعةٌ ما بين النص الشعرى والآيات القرآنية السابقة عليه كما فى الوحدة الأولى بالصف الثانى فى فصله الثانى، فالنشيد لأحمد إسماعيل بعنوان (هيا نقرأ) يسبقه دروس ثلاثة (شجاعة طفل ثم لا تكذب، وأخيرًا فكر مع جحا)

ويشفع لعدم التوافق هنا أن الشعر يشجع التلميذ مبكرًا على القراءة وحب الوطن فى عبارات بسيطة تناسب المرحلة.

عاشرًا: مدى تدرج الموضوعات الشعرية ونموها بنمو التلميذ :

وقد تحقق هذا الضابط بشعر المدونة بشكل كبير؛ إذ تطورت لغة الشعر وأسلوبه وصوره بتقدم الصفوف، فالشعر بالصفوف الأولى بسيط، وتعابيره واضحة، وصوره الشعرية مما يناسب طفل المرحلة؛ فالحديث عن الوطن مثلاً يختلف خطابه فى الصف الأول عن السادس، وحينما نقارن بين نشيد "وطنى" لرضا محمد وفيه :

وطنى وطنى قلب حان
أرض الحـب والإيمان
أرض الخير والإحسان
هيـــا هيـــا يا إخوانى
نبنى وطنًا للإنـــسان

وبين نشيد "وطنى" لأحمد مخيمر، وفيه :

فى ظل النخل على الوادى أصغيت لقصة أجدادى
لمعانـــيها هـــتف الحب ولماضيها خفـق القلب
وطنى وصباى وأحلامى
بدم الأحرار ســأرويه وبماضى العزم سأبنيه
وأشيده وطنًا نضـرًا وأقدمــه لابنى حـــرًا
فيصون حماه ويفديه بعـزيمة ليث هجـــام

تظهر مراعاة الفروق العامة بين تلميذى الصف الأول والسادس لغويًا وإدراكيًا وموسيقيًا؛ فالبساطة هى طابع النشيد الأول والتر كيب هو طابع الثانى، والصورة حاضرة فيه على نحو مغاير

للأول، وبضميمة النشيدين إلى بعضهما يبدو الفارق الأسلوبى بينهما موافقًا لفارق النمو بين التلميذين المستهدفين بالنشيد. وقد راعى النشيد التدرج بالطفل، فعزز فى المجال الاجتماعى ابتداء انتماءه لأسرته الصغيرة (الأب، الأم) كما فى نشيد (أحب أبى وأمى) وفيه يقول الشاعر :

أحب أبــى لأن أبـــى

عطوف طيب القلــب

وفى صحوى وفى نومــى

أغنى عــشت يا أمــى

ثم هو يوسع من دائرة اتصاله واهتمامه إلى المجتمع الإنسانى الوسيع كما فى نص "أخى الإنسان" لعيسى الناعورى، وفيه يقول :

أخى فى العالم الواســع فى المغرب والمشرق

أخى الأبيض والأســود، فى جوهرك المطــل

أمد يدى فصافــحها تجد قلبى بها يخــفق

بحبك يا أخى الإنسان

فدائرة الحب هنا تتسع إلى أقصى مدى، فتشمل الإنسانية كلها، بعد أن انحصرت سابقًا فى "الأب والأم والمعلمة" المجتمع الصغير الملامس لواقع الطفل وفى ذلك توافق محمود مع مراحل نمو الطفل وتغير اهتماماته ومراعاة لاتساع أفق تحصيله النظرى والاجتماعى والإنسانى.

هوامش الفصل الثانى

(*) قد تزيد هذه النسبة قليلاً إذا ما استبعدنا من المقام، الفصل الدراسى الأول للصف الأول، فتصبح النسبة منسوبة إلى ١١ فصلاً فحسب.

(١) يقصد بالمدونة هنا : "مادة البحث" وهى شعر الأطفال فى مناهج الحلقة الأولى من التعليم الأساسى بمصر عام ٢٠١٣ / ٢٠١٤، وسيعول على استخدام المدونة من الآن كلما أريد الإشارة إلى : شعر الأطفال "مادة البحث".

(٢) أدب الطفل العربى "دراسات وبحوث" دكتور حسن شحاته، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الثانية ١٩٩٤، ص ٢٢٤، ٢٢٥.

(٣) يضاف إلى الضابط رقم (٧) الخاص بتنويع الشعر ما يجعله :

"تنويع الشعر ليكون منه : الشعر الغنائى "التوقيعى" والتمثيلى "الحوارى"، والشعر الإيهامى، والقصصى، والوصفى، والحماسى، وأن يشتمل على المسرحية والألغاز".

(٤) يراجع فى الضوابط من (١١) إلى (١٥) :

تقويم أدب الأطفال فى كتب القراءة والمحفوظات فى الصفوف الرابع والخامس والسادس من التعليم الأساسى، رسالة ماجستير مخطوطة بكلية التربية جامعة المنصورة للباحث : المهدى على البدرى أحمد، بإشراف أ. د طه وادى، أ. د عواطف شعير، ص ٦٢ : ٦٤، وسيعرض لمضمون هذه الإضافات على ضوابط الدكتور شحاتة الواردة بهامشى ٣، ٤ فى ثنايا العرض لضوابطه العشرة لكلٍّ مع ما يناسبه.

(٥) الرقمان يشير أولهما إلى الصف الدراسى وثانيهما إلى الفصل أول أو ثانٍ.

(٦) يلاحظ الجناس الرأسى اللطيف بين : جئنا، شئنا لمتناظرين موضعيًا، وأثر ذلك فى غنائية النشيد.

(٧) من مظان تردد النون بالمقطع أيضًا : التنوين كما فى "معًا، أحباءً، جنةً وتردد النون بالمقطع يجعله مقطعًا غنائيًا بامتياز، إذ قلما يخلو دال بالمقطع من النون، ومن مظان النون أيضًا : الكلمة الختامية للمقطعين : "الإنسان".

(٨) أخرجه ابن ماجه وابن عبدالبر فى جامع البيان.

(٩) هذا بخلاف شعر الوطن والأسرة والعلم وهو الشعر الذى تتعزز بإضافته هنا نسبة الشعر بسيط الفكرة وواضحها.

(١٠) من القصص الشعرية أيضًا : الثعلب والديك لأحمد شوقى ٢/٥ وقريب منهما نص "البخيل والدجاجة" ١/٦ لمحمد عثمان جلال.

(١١) مثله فى ذلك نشيد "نصائح غالية" لحسين أحمد إسماعيل ١/٣ وفيه :

لا تشتر الطعام من باعة الطريق

وقبل أن تنـــام وبعـد أن تفيــق

استخدم المعجون ونظف الأســنان

ونظف العيــون والقلب واللســان

(١٢) أدب الطفل العربى، دكتور حسن شحاته ٢٢٨.

(١٣) يراجع أيضًا نص "نحن لها فداء" ١/٢ وفيه :

بلادنــا الحــبيبة حقــولها خصــيبة

يزينــها النخيــل على ضفاف النيل

والتين والزيتون والقمــح والليمون

(١٤) يراجع مثله فى تكرار (هيا) فى مفتتح الأبيات الخمسة الأولى من (هيا للنشاط) ١/٣.

الخاتمة

انتهى البحث فى شعر الأطفال بمناهج التعليم الأساسى فى حلقته الأولى لعام ٢٠١٣ / ٢٠١٤ إلى بعض النتائج والتوصيات منها :

١ – مازال للشعر حضوره فى مناهج التعليم الأساسى بمصر، وإن ضعف هذا الحضور مقارنة بما كان قبل ذلك فى السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضى، وهو ما يتفق مع تراجع وانصراف بعض المتلقين عنه إلى الرواية والقصة.

٢ – بدا من نصوص المدونة ضعف الاهتمام بالقومية العربية، فليس لقضية فلسطين مثلاً بشعر المدونة حضور من أى نوع، والمظهر الوحيد المتبقى من القومية العربية هو أسماء لبعض شعراء المدونة من بلدان : الأردن وسوريا والسودان وتونس، وهو الأمر الذى يحتاج إلى إعادة نظر حتى لا تصبح وحدة الوطن العربى فى قابل الأيام من ذكريات التاريخ.

٤ – ينبغى النظر إلى شعر الأطفال بوصفه وسيلة إمتاع وإفادة وتربية وتهذيب معًا، شريطة أن يبتعد الشاعر فى سعيه إلى ذلك كله عن المباشرية والوعظ؛ وأن يراعى حق النوع الأدبى، كما عليه أن يراعى خصائص نمو المرحلة وحاجات الطفل.

٥ – جاء شعر المدونة وفيًا لغاياته التربوية إجمالاً، فليس فيه ما يمثل قيمة سلبية، وتحتل قيم الوطن والأسرة والعلم رأس سلم أولوياته، وتتسم أشعار تلك القيم بالبساطة، والإيقاع السلس المنغم الذى يسهل معه التغنى به.

٦ – عُنيت أشعار المدونة ببيئة الطفل أحيانًا، فعرضت لبيئة الريف وعناصرها الأليفة من حيوان أو طير خاصة العصفور، وفى ذلك فيما أرى لمس لقيمة الحرية من طرف خفى.

٧ – ترتهن مشكلة تذوق الأطفال للشعر فى كل الأحيان تقريبًا بسوء اختيار النص أو عدم توافقه مع خصائص نمو الطفل المقصود به؛ ويتأتى غموض الشعر على الأطفال من غرابة إسناد الألفاظ إلى ما ليس معتادًا إسنادها إليه، وكذا بعمق الصورة الشعرية وبعدها عن إدراك الطفل؛ وتجاوزها لمستوى تفكيره.

٨ – قل اهتمام شعر المدونة بالمرح والسرور، فندرت نصوصهما، وفى ذلك ما يعجل بإقحام الطفل بلا مبرر على حياة الجد والرجولة، مع ما يصاحب هذا المسلك من وأد لروح الطفولة لدى الأطفال مبكرًا؛ وربما تعززت قيمة العنف لديه.

٩ – يختفى من شعر المدونة : المسرحية والألغاز والأحاجى، ولا يرد إلا النشيد والقصة الشعرية، وهو أمر لا يسعف الطفل على التصور الجيد للأنواع الأدبية، وربما ساهم فى ضمور مواهب أصلية لدى أطفال تميل بطابعها إلى الأنواع المهملة، الأمر الذى يقتضى التنوع والشمول فى أنواع شعر الأطفال، ولو كنصوص استماع أو نشاط.

١٠ـ يُوصى بضرورة اهتمام القائمين على اختيار شعر الأطفال بالقيم الدينية وغرس قيم المواطنة، وتوسيع دائرة اهتمامات الطفل من الأسرة إلى المجتمع المحلى إلى الوطن الأصغر ثم إلى الوطن الأكبر "الأمة العربية والإسلامية" ثم المجتمع الإنسانى كله.

١١ـــ يوصى بالاهتمام بإبراز تنوع الشعر من نشيد إلى قصة شعرية إلى مسرحية إلى ألغاز وأحاجى ليقف الطفل على التصور الحقيقى للأنواع الأدبية وليخرج طاقاته الكامنة.

دار الكتب والوثائق القومية

المصادر والمراجع

أولاً المصادر :

كتب المناهج الدراسية لمقررات اللغة العربية والتربية الإسلامية لصفوف الحلقة الأولى من التعليم الأساسى بمصر لعام ٢٠١٣ / ٢٠١٤م.

ثانيًا المراجع :

١ – أدب الأطفال بين أحمد شوقى وعثمان جلال، دكتور أحمد زلط، دار النشر للجامعات المصرية، الطبعة الثانية ١٩٩٤م.

٢ – أدب الأطفال تربية ومسئولية، محمد حسن بريغش، دار الوفاء للطباعة والنشر بمصر، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

٣ – أدب الأطفال علم وفن، أحمد نجيب، دار الفكر العربى، الطبعة الأولى ١٩٩١م.

٤- أدب الأطفال فلسفته، فنونه، وسائطه، هادى نعمان الهيتى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م.

٥ – أدب الطفل العربى "دراسات وبحوث" دكتور حسن شحاتة؛ الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٤م.

٦ – أدب الطفل العربى دراسة معاصرة فى التأصيل والتحليل، دكتور أحمد زلط، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر بمصر، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

٧ – الأدب المصرى فى كتابات الرواد "دراسة موضوعية وفنية" دكتورمحمد إبراهيم الطاووس، دار النهضة العربية بالقاهرة ٢٠٠٧.

٨ – تقويم أدب الأطفال فى كتب القراءة والمحفوظات فى الصفوف الرابع والخامس والسادس من التعليم الأساسى "ماجستير مقدمة من الباحث" المهدى على البدرى أحمد، بكلية التربية جامعة المنصورة ١٩٨٥م بإشراف أ. د طه وادى، أ. د عواطف شعير.

٩ – الطفل وأدب الأطفال، دكتورة هدى محمد قناوى، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٤م.

١٠ – الطفل وعالمه الأدبى، دكتور عبدالرؤوف أبوالسعد، دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

١١ – فنون اللغة العربية، دكتور على أحمد مدكور، دار الشواف للنشر والتوزيع بالرياض ١٩٩١م.

١٢ – فى أدب الأطفال، دكتور على الحديدى، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة السادسة ١٩٩١م.

١٣ – القيم التربوية فى ثقافة الطفل "الحلقة الدراسية الإقليمية لعام ١٩٨٥م بالقاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م.

دار الكتب والوثائق القومية